حياة الإمام الحسن

الإمام الحسن بن علي

تأليف الشيخ
[illegible]

دار الكتب

حليم آل البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

حليم آل البيت

الإمام الحسن بن علي

رضي الله عنه وأرضاه

فضيلة الشيخ

موسى محمد علي

عالم الكتب

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد

من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له ؛ لم يختر غير ما اختار الله له .

الحسن بن علي

الإهداء

إلى من هبطت عليّ نفحات فضيلته مسكاً نورانياً أذكى في قلبي ينابيع العرفان . وأوقد في سرائري مخزون الأسرار . فاكتست الروح بفضله وشاح البصيرة . وتمتع القلب بشمس الحقيقة .

سيدي الإمام العارف بالله تعالى الشيخ

عَبْدُالحَليم محمُودْ

رضي الله عنه وأرضاه

أقدم كتابي « حليم آل البيت الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه » اعترافاً بكريم فضله وحسن تربيته . سائلا المولى عز وجل أن يسبغ عليه واسع رحمته وأن يرفع إلى أعلى عليين درجة ، جزاء ما آثرني به من فضل ، وأسبغ علي من وفاء وحب .

موسى محمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

همسة في أذن واعية

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ناصر الحق بالحق ، والهادي الى صراطك المستقيم ، وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه ، واتبع سنته الى يوم الدين .

وبعد :

فمن رضي لنفسه أن يكون في بعض شيمه حراً ، وفي بعضها عبداً ، فليس هو بذي نفس أبية .

ومن حاد عن الأفعال الجيدة لفرط الشغل تعجلاً الى الراحة ، فليس هو بذي همة علية .

ورغبة الملوك في الأدب ، تحيي الأدب ، وعند استقامة طرائقهم يقوى الحق ، وعند اجتبائهم أهل الفضل تظهر الفضيلة .

ولن يفرح العاقل بالنعمة التي لا يستحقها ، والمنزلة التي ينالها باسم غيره ، والفوز الذي يكون من جور الحكم ، والظفر الذي يتفق من ارتكاب الأخطار .

ولن يبلغ ألف رجل من إصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن العمل ، وما يبلغ رجل واحد في إصلاح ألف رجل في تصديق القولِ بالفعل .

وكما أن الأعمى لا يمكنه أن يهتدي ، والفقير لا يمكنه أن يستغني ، كذلك أيضاً لا يستصلح أحد غيره إلا بعد إصلاح منه لنفسه .

فمن صفا عن إرادته وصل إليه ، ومن وصل اليه أقبل عليه ، وأزلفه بمحل الخصوصية لديه .

لهذه الحقائق : جعل الله سبحانه لكل شيء ميزاناً في الحياة ، وميزان العالم العامل ، توازن العقيدة التي لا تحمل ما للناس على ما لله ، ولا تحمل ما للناس على ما للآخرين ، فتكون بمثابة الميزان المحكم الذي لا يطغى على حق الله لمرضاة الناس ، ولا يطغى على حق قوم لمرضاة الآخرين .

ولأجل أن نتسم بسمة هذه العقيدة الحقة لا بد وأن نعرف أنفسنا حق ، معرفتها .

وما لم يعرف الإنسان نفسه فهو ذرة هائمة تائهة في الظلمات .

ولم يخلق الله الإنسان ويجعله في أحسن تقويم ليعيش شارداً ضالاً، لا يعرف قدر نفسه ، ولا أهمية رسالته ، ولا خطورة وجوده .

الإنسان الذي سجدت له الملائكة ، وأرسلت إليه الرسل بالكتب الكريمة لا بد وأن يعرف نفسه حتى يسمو عن بقية المخلوقات ، ويستحق التكريم في الدنيا والآخرة ، ويؤدي الأمانة التي حملها حينما عرضت عليه .

والأغلبية العظمى من الناس لا يعرفون أنفسهم حق معرفتها ، ولذلك كثر الخبث ، وانتشر الفساد ، وتلطخت صفحات الحياة بالخزي والعار ، على الرغم من آيات الله الكثيرة :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ في السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُم عَنْهَا معرِضُونَ ﴾[1]

ومعرفة النفس عمل جليل الى أبعد الحدود ، فإذا وفق الله الإنسان كان لا بد وأن يتخذ لنفسه هدفاً يتناسب مع جلالة قدره ، وعلو منزلته ، فلا يقلد الحيوانات في إشباع الملذات ، واحتراف الشهوات :

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ، فَاسْتَبِقُوا الخَيْراتِ ، أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللهُ جَمِيعاً ﴾[2] .

وأقرب طريق الى تحديد الهدف هو أن ينظر الإنسان الى واقعه ، ويرسم الخطة على أساس سليم ، ويتعرف على حاجات من حوله ، ويوفق بين واقعه ومطالبه حتى لا يصطدم في أول الطريق ، أو في منتصفه ، فاذا كان ساذجاً ، أو قاصر النظر ، فسوف يغلب على أمره ، بل وربما يقف مكانه مقهوراً ، وهذا أمر خطير لا يوصل الى غاية ، وربما يلقي بصاحبه في مواطن الزلل ، ويطرحه في مطارح لا يتوقعها .

نعم : إن العيش بين المشاكل بالنسبة لأبناء الإسلام اليوم ليس أمراً جديداً ، وإنما الجديد هو أن تتبلور المشاكل في الصورة التي نراها الآن : من الاعتراض على آل البيت والأولياء والعمل الدائب على إثارة الشكوك وضعف الاعتقاد والاستخفاف بحرمتهم .

حقيقة كئيبة بشعة لا مناص من الاعتراف بها :

في داخل بلادنا وخارجها ، وجودية ملحدة كافرة ، وشيوعية ضالة ماجنة ، وماسونية عالمية ساخرة فاجرة ، وفرق متناحرة فاسدة ، ... ، ... ، ... الخ .

---

(١) يوسف آية ١٠٥ . (٢) البقرة آية ١٤٨ .

وفوق هذا وذاك نجد من الانحراف أنواعاً ، ومن التحلل ووسائل التمزق الأخلاقي أشكالاً وألواناً ، فضلاً عن انتشار الفرق الباطلة ، ولا نسمع في لحظة ، ولا نحس في ساعة أن هذا أو ذاك يهدم بعضه البعض الآخر ، أو يعتدي عليه ، ليحول بينه وبين جبروته وطغيانه ، بل على العكس من ذلك كله :

نجد من فرط وسائل التشجيع والدعاية مالا يعد ولا يحصى ، في حين أنها الأولى بالهدم والضياع ، والقضاء عليها ، أو التصدي لها على الأقل ، مهما كلفت من وقت وأنفقت من مال ، ولكن نقول والحزن يحز قلوبنا :

إننا نجد في معظم الأيام ما لم يكن في جميعها : أن صفحات الجرائد والمجلات ، ملطخة بالسب والاعتداء ، والافتراء والاتهام ، والادعاء على الإسلام تارة ، وعلى أولياء الرحمن تارة أخرى .

بل إننا نجد الاختلاق الكاذب على الإسلام وآل البيت يكال كيلاً ، ويتدفق تدفقاً .

والعجيب والأعجب أن هذا الافتراء المسلط على آل البيت ، وذلك الاختلاق على الإسلام وتراثه الأصيل يتزعم كبر إجرامه أبناء الإسلام أنفسهم ، بل وبتعبير أدق ، نلمح هذا ونلاحظه في الذين ينتسبون الى الإسلام ، وكان الأجدر بهم والأحرى ، بل الأسلم لهم والأولى أن يسلطوا سيوفهم ويطلقوا ألسنتهم حداداً على الفسق وأهله ، والانحراف ووسائله ، إنهم لو فعلوا ذلك لأرضوا ربهم في دينهم ، واقتدوا برسولهم في أداء رسالتهم ولكن غرتهم الأماني حتى أنكروا تخصيص الحق سبحانه وتعالى لأوليائه بما شاء ، حسداً من عند أنفسهم ، وأخذوا ينقمون منهم ، وقابلوهم لا بالإجلال والاعتراف والتأييد ، بل قابلوهم بالإنكار والسخرية والاستهزاء ، وسنة الله تعالى مع أوليائه وآل بيت نبيه مضت بالتعزيز والتوقير لهم .

ودأب الحاقدين من هؤلاء جرى بالارتياب في القدرة ، فمنهم من رد ذلك ومنهم من جحد ، وكفى بعقوبة الله انتقاماً منهم ، أنهم : جبلوا على الشح ومن

جبل على الشح لا يزداد بسعة يده إلاّ تأسفاً على راحة ينالها الخلق ، كأن من شرب قطرة ماء تحسى ، بل رشف من ماء حياته .

إنهم جبلوا على الشح حتى وقع شحهم على أنفسهم ، ووقع المرض في قلوبهم ، وارتابوا في الحق :

﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذعِنِينَ ، أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أم ٱرتَابُوآ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ ٱللهُ عَلَيْهِم وَرَسُولُهُ ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ ﴾[1] .

هذه الألوان التي توجد اليوم في مجتمعنا ، والتي توجد من ورائها فرق متناحرة ، وطوائف حاقدة ماكرة ، فكل واحد من هذا أو من ذاك إنما يمهد الأمل لنفسه ، ويظن النجاة لحاله ، ويدعي الوصل من سهمه ، ولكن مجرد الحسبان دون تحقيق البرهان لا يأتي بحاصل ، ولا يحوز بطائل .

إن الظروف المالية المضللة ، زينت لأصحاب الأقلام المأجورة الدنيا فغرتهم حتى صاروا يرتعون في النعيم ، وينكرون الجميل ، وعموا وصموا عن النظر في الدليل ، وصرفوا عقولهم عن الاعتبار ، حتى انحطت فيهم الأخلاق ، وارتفع أوار الحقد وانعكست الأيادي ، وانقلبت الأوضاع ، وضاعت الحقائق ، وآثروا الشر على ما فيه من قبح على الخير بما فيه من فضائل .

فماذا عليهم وعلينا لو توحدنا على كلمة واحدة ؟ .

وماذا عليهم وعلينا لو سمت نفوسنا جميعاً الى العمل بما يفيدنا في ديننا ؟

وماذا عليهم وعلينا لو عشنا جميعاً على وفاق وألفة ومحبة وتعاون ؟

وماذا عليهم وعلينا لو طهرنا ألسنتنا وأقلامنا عن الخوض في سير الماضيين ، وتمسكنا بحب أهل البيت ، وأرضينا فيهم من أرسله الله رحمة للعالمين ؟

---

(١) النور أية ٤٩ ـ ٥٠ .

ماذا عليهم وعلينا لو فعلنا ذلك ؟ بل وماذا عليهم وعلينا لو رفعنا من بيننا الخلاف ، واعتصمنا بحبل الله المتين ؟

إن أسلافنا السابقين في الإسلام رضوان الله عليهم ، لهم أسبقية الفضل والولاء لديننا ما لم يكن لغيرهم مهما طال الزمن ، وامتدت الأيام :

« فخير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

فما بالنا بمن سجل التاريخ أسماءهم قبلنا ، وخلد ذكراهم من أهل الولاية والعلم والفضل والكرامة ، الذين حملوا مشعل الهداية ، وأضاءوا الطريق ، وتركوا لنا تراثاً أصيلاً لا يعرف قدره إلا من ذاق فعرف ، وشاهد فاعترف .

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وأن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه »[١] .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ آللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ البُشْرَىٰ في الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآَخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ آللهِ ، ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾[٢] .

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأخرجه أبو داود في سننه :

«إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله» .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري .

(٢) يونس الآية : ٦٢ ، ٦٣ .

قالوا يا رسول الله : فخبرنا من هم ؟

«قال: هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنَّ وجوههم لنور، وأنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس».

ثم قرأ هذه الآية :

﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ آللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ثم يعلق أبو بكر الأصم رضي الله عنه على هذا بكلام نفيس فيقول :

« أولياء الله : هم الذين تولى الله هدايتهم ، وتولوا القيام بحق العبودية لله ، والدعوة اليه ، وأصل الولي من الولاء ، وهو القرب والنصرة » .

فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ، ويكون مشتغلاً بالله ، مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله .

فإن رأى رأى دلائل قدرة الله .

وإن سمع سمع آيات الله .

وإن نطق نطق بالثناء على الله .

وإن تحرك تحرك في طاعة الله .

وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله .

لا يفتر عن ذكر الله ، ولا يرى بقلبه غير الله .

فهذه صفة أولياء الله ، وإذا كان العبد كذلك ، كان الله وليه وناصره ، ومعينه ، قال الله تعالى :

﴿ آللهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ آمَنُوا ﴾ اهـ .

وبعد : فان الحق سبحانه أقام أولياءه بحق حقه ، وأقعدهم عن تحصيل حظوظهم ، وقام سبحانه بكفايتهم بكل وجه ، فمن لازم طريق الاستقامة في حقهم ، ولم يزغ عن حدهم ، ولم يزغ في عهدهم ، فإنه سبحانه يصدق وعده له بجميل الكفاية ودوامها .

ومن ضل عن الاستقامة معهم عثر في مشيته واضطربت عليه حاله وكفايته ، فمن زاد زيد له ، ومن نقص نقص له .

فالذين درجوا على الوفاء ، وقاموا بحق الصفاء ، ولم يرجعوا عن الطريق ، وطالبوا نفوسهم بالتحقيق ، وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق ، وجدوا محبة الحق سبحانه ميراث صبرهم ، وكان الخلف عنهم الحق عند نهاية أمرهم ، فما نزغوا عن شرط الجهد ، ولا زاغوا في حفظ العهد ، وسلموا تسليماً ، وخرجوا عن الدنيا وكان كل منهم للعهد مقيماً مستديماً، وعلى شرط الخدمة والوداد مستقيماً.

أما من تعلقت قلوبهم بدون الله سبحانه في استدفاع الشر ، واستجلاب الخير ، فإن تعلقهم ذلك تمحيق للوقت فيما لا يجدي ، وإذهاب للعمر فيما لا يغني ، اذ المنفر بالإيجاد بريء عن الأنداد .

والتعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع الى الحق ، فكلما كان بعد المسافة من الحق أتم كان اليأس من الرجعة اليه أوجب ، ومتبع الضلالة شر من مبتدعها ، لأن المبتدع يبني والمتبع يتم البناء ، ومن به كمال الشر ، شر ممن منه ابتداء الشر .

فماذا على الذين أسرفوا على أنفسهم بجفوة أهل البيت ، وبغض الأولياء ، لو تابوا الى ربهم ، واقتدوا بنبيهم ، وأحسنوا الظن فيهم وبهم ؟

بل ماذا عليهم لو زكت نفوسهم ، وصفت قلوبهم ، ورجحت عقولهم ، وندموا وتابوا ، وأفعموا دنياهم بعبير حبهم ، ومسك تقديرهم ، وشذا عرف صحبتهم ؟

انهـم لو فعلـوا ذلك لاستنـارت بنـور الله بصائرهـم ، وطابـت بتـوفيق الله سرائرهم ، وحمدت بفضل الله سيرتهم ، واستقامت بعون الله حياتهم ، وسعدت بقدرة الله دنياهم ، وأظلهم الله بظله يوم يقول سبحانه وتعالى :

﴿ أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي ، اليَوْمَ أظِلُّهُمْ في ظِلِّي ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي ﴾ .

فضل أهل البيت رضي الله عنهم

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]

وأخرج الإمام أحمد في مسنده ، عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ :

«إني تارك فيكم خليفتين» :

«كتاب الله عز وجل، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

المحبة توجب الإيثار ، وتقديم مراد الحبيب على مراد المحب .

فإذا كان الحق تعالى ، يحب من العبد أن يحب لله وفي الله ، فمن لم يؤثر محبوب الله على محبوب نفسه انسلخ من محبته لربه ، ومن خلا من محبة الله وقع في الشق الآخر في خسرانه .

(١) الأحزاب آية : ٣٣ .

وأهل البيت هم الذين يؤثرون بالمحبة فهم الذين نظروا الى باطن الدنيا اذا نظر الناس الى ظاهرها ، واشتغلوا بآجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم ، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً ، ودركهم لها قوتاً .

أعداء ما سالم الناس من اللذة الفنية ، وسلم ما عادى الناس من العفة والعدالة النادرة . بهم علم الكتاب وبه علموا .

وبهم قام الكتاب ، وبه قاموا .

لا يرون مرجواً فوق ما يرجون ، ولا مخوفاً لهم فوق ما يخافون .

جبلت قلوبهم على محبته ، وصفت نفوسهم بملازمة شريعته .

لا يخشون إلا الله ، ولا يرجون مأمولاً من أحد سواه . .

بالله ساروا وبه قاموا ، وعلى هديه سلكوا ، وبشرعه عملوا حتى صاروا نجوماً في سماء الولاية ، وقدوة حسنة في طريق الهداية .

لا يدخرون عن الله شيئا في مقدورهم ، ويؤثرونه على جميع الأشياء في جدهم واجتهادهم .

ينفقون أبدانهم على الطاعات وفنون الأوراد والاجتهاد .

وأموالهم في إفشاء الخيرات وابتغاء القربات بوجوه الصدقات .

وقلوبهم في الطلب ، ودوام المراعاة لحقوق الله .

وأرواحهم على صفاء المحبات والوفاء على عموم الحالات .

وأسرارهم على المشاهدات في جميع الأوقات .

ينتظرون إشارات المطالبات متشمرين للبدار والسعي ، الى دقيق المطالعات والقرب .

ولقد كان من فضل الله تعالى على أوليائه أن أجرى سبحانه سنته معهم ، أنه إذا ضعفت نياتهم ، أو تناقضت إرادتهم ، أو أشرفت قلوبهم على بعض فترة ، أراهم سبحانه من الألطاف وفنون الكرامات ، ما يقوي به أسباب عرفانهم ، وتتأكد به حقائق يقينهم .

ذلك أنه سبحانه لا يسلط عليهم إلا بمقدار ما يصدق اليه فرارهم ، فإذا حق فرارهم اليه تعالى ، أكرم لديه قرارهم ، وإن ضعفت نيات فرارهم إليه أعطاهم من ألطافه ما يحقق يقينهم بالقرب منه .

وبما أن رسالة سيدنا محمد ﷺ ، عامة خالدة ، فإن لرسول الله ﷺ وارثاً علماء عارفين من آل بيته .

ورثوا عن نبيهم العلم ، والتقوى ، فكانوا خلفاء عنه في الهداية ، والدعوة الى الله تعالى ، يقتبسون من نوره ، ليضيئوا للإنسانية طريق الحق والرشاد .

فمن أحبهم سرى اليه من حالهم الذي اقتبسوه من رسول الله ﷺ ، ومن ربط حبله بحبالهم ، فقد اتصل بهم ، ومن اتصل بهم ، فقد استقى من نبع سيدنا محمد ﷺ .

هؤلاء الوراث من آل البيت هم الذين ينقلون للناس الدين ، ممثلاً في سلوكهم ، حيّاً في أحوالهم :

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» .

هؤلاء الوراث من آل البيت صحبتهم ترياق مجرب ، والبعد عنهم سم قاتل ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

مرافقتهم هي العلاج الفعال لإصلاح النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وغرس العقيدة ، لأن هذه الأمور : لا تنال الا بالاقتداء والتأثر الروحي .

والطريق العملي الموصل للتزكية النفسية والتحلي بالكمالات الخلقية ، هو حب آل البيت والأولياء ، الذين تشفى بملازمتهم ، وحضور مجالسهم ، من أمراضك القلبية ، وعيوبك النفسية ، وتتأثر شخصيتك بشخصيتهم ، التي هي صورة عن الشخصية المثالية ، شخصية سيدنا رسول الله ﷺ .

ومن هنا يتبين خطأ من يظن أنه يستطيع بنفسه أن يعالج أمراضه القلبية ، ويتخلص من علله النفسية ، فقد ثبت أن الإنسان لا يستطيع أن يطبب نفسه بنفسه ، بل لا بد له من طبيب يكشف له عن خفايا علله ، ويطلع على ما خفي عليه من دقائق مرضه .

بيد أن الذين سقمت ضمائرهم ، وضعفت في التحقيق بصائرهم ، تسبق الى قلوبهم مداراة الأعداء ، خوفاً من معاداتهم ، وطمعاً في المأمول من صحبتهم ، ولو استيقنوا أنهم في أسر العجز ، وذل الأعراض والنفي والطرد ، لأملوا الموعود من كفاية الحق ، والمعهود من جميل رعايته ، ولكنهم حجبوا عن محل التوحيد ، فتفرقوا في أودية الحسبان والظنون .

لذلك اضطربوا وخلطوا ، وتعسوا وحسبوا أنهم أحسنوا حتى اندرجوا في سلك الاعتراض والطرد ، وسلكوا مسلك الهزيان والبعد ، واستباحوا حرمة الأولياء ولاكوا بأضراسهم لحوم الأصفياء ، ونسوا أو تناسوا أنهم بعقيدتهم هذه ، وصنيعهم هذا عدوا أنفسهم ممن قال الله تعالى فيهم :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

ذلك : أن الله سبحانه وتعالى مدح وأثنى على أهل البيت والأولياء في القرآن الكريم ، بقوله تعالى :

---

(١) البقرة اية : ٨٥ .

﴿ رَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيكُم أَهلَ البَيْتِ ﴾(١) .

ويقول سبحانه :

﴿ إِنَّما يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

ويقول تعالى :

﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

ويقول سبحانه :

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِم ﴾ .

ورسول الله ﷺ ، حث كثيراً على حبهم ، ورغب أكثر في تقديرهم واحترامهم ، كما أنذر ورهب من بغضهم ، وخوف وتوعد من كراهتهم وعدم محبتهم .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نذكر جملة من الأحاديث الشريفة ، الثابتة الصحيحة ، التي تبين لنا بوضوح واضح ، مكانة آل البيت ، وما لهم من فضل وولاء ، وتقدير واحترام . .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن شريك بسنده ، عن أم سلمة قالت :

في بيتي نزلت :

﴿ إِنَّما يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وعن أبي بكر رضي الله عنه فيما أخرجه الإمام البخاري قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) هود آية : ٧٣ .

«يا أيها الناس، ارقبوا محمداً في أهل بيته».

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عن عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

«يا بني عبد المطلب، إني سألت الله لكم ثلاثاً».

«أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم».

«وسألت الله: أن يجعلكم جوداء، نجداء، رحماء».

وأخرج الطبراني في معجمه ، وابن عساكر في تاريخه ، عن اسحاق بن أبي حبيبة ، أن مروان بن الحكم ، أتى أبا هريرة في مرضه الذي مات فيه ، فقال مروان لأبي هريرة :

ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا إلا في حبك الحسن والحسين .

قال : فتحفز أبو هريرة فجلس فقال : أشهد :

لقد خرجنا مع رسول الله ﷺ ، حتى اذا كنا ببعض الطريق سمع رسول الله ﷺ ، صوت الحسن ، والحسين ، وهما يبكيان ، وهما مع أمهما فأسرع السير حتى أتاهما فسمعته يقول :

ما شأن ابني ؟ .

فقالت : العطش .

فأخلف رسول الله ﷺ ، الى شنة يتوضأ بها ، فيها ماء ، وكان الماء يومئذ أعذاراً[1] والناس يريدون الماء ، فنادى :

هل أحد منكم معه ماء؟ فلم يبق أحد إلا أخلف يده إلى كلالة يبتغي الماء في

---

(١) أي قليلاً متعذراً.

شنة فلم يجد أحد منهم قطرة.

فقال: ناولني أحدهما.

فناولته إياه من تحت الحذر ، فأخذه فضمه الى صدره وهو يصغو ما يسكت ، فأدلع له لسانه ، فجعل يمصه حتى هدأ وسكن ، فلم أسمع له بكاء ، والآخر يبكي كما هو ما يسكت . .

فقال: ناوليني الآخر فناولته إياه، ففعل به كذلك فسكت، فلم أسمع لهما صوتاً فقال: سيروا، فصدعنا يميناً وشمالاً عن الظعائن حتى لقيناه على قارعة الطريق، فكيف لا أحب هذين وقد رأيت هذا من رسول الله ﷺ؟[1].

وعن ابن عباس أنه قال اتحد الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ ، فجعل يقول : هي يا حسن خذ يا حسين .

فقالت فاطمة : تعين الكبير على الصغير .

فقال: إن جبريل يقول: خذ يا حسين.

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته فاطمة وابناها الى جانبها وعلي نائم فاستسقى الحسن فأتى ناقة لهم تحلب فحلب منها ثم جاء به فنازعه الحسين أن يشرب قبله حتى بكى فقال :

يشرب أخوك ثم تشرب .

فقالت فاطمة كأنه آثر عندك منه .

«قال: ما هو بآثر عندي منه وأنهما عندي بمنزلة واحدة، وأنك وهما وهذا المضطجع معي في مكان واحد يوم القيامة».

ومن طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة ، قال :

---

(١) وقد أخرج هذا الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « تهذيب التهذيب » .

خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين ، هذا على عاتقه ، وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا ، فقال :

«من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[1].

وعند أبي يعلى من طريق عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : كان رسول الله ﷺ يصلي ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فاذا أرادوا أن يمنعوهما أشار اليهم أن دعوهما ، فإذا قضى الصلاة وضعهما في حجره ، فقال :

﴿ من أحبني فليحب هذين ﴾ .

وفيما أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر ، والحاكم في المستدرك ، على شرط البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«الحسن والحسين ابناي ، من أحبهما أحببته ومن أحببته أحبه الله ، ومن أحبه الله ، أدخله جنات النعيم ، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم وله عذاب عقيم» .

وأخرج الشعبي بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت :

إنّ النبي ﷺ ، جلل حسناً وحسيناً وفاطمة بكساء ثم قال :

«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، فيما أخرجه الحاكم في المستدرك ، وابن عساكر على شرط البخاري ومسلم :

«إن لكل بني أب عصبة ينتمون إليها ، إلا ولد فاطمة ، فأنا وليهم ، وأنا

---

(١) وله شاهد في السنن وصحيح ابن خزيمة عن بريدة ، وفي معجم البغوي نحوه بسند صحيح عن شداد ابن الهادي .

عصبتهم، وهم عترتي، خلقوا من طيني، ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير، وابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي بسنده، عن رسول الله ﷺ قال:

«ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم»؟

«والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحبهم الله ولقرابتهم مني».

وعن واثلة رضي الله عنه فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير قال: قال رسول الله ﷺ.

«اللهم إنك جعلت صلواتك، ورحمتك، ومغفرتك، ورضوانك، على إبراهيم وآل إبراهيم.

اللهم إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك، ورحمتك، ومغفرتك، ورضوانك، عليّ وعليهم» يعني عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً.

وأخرج ابن عساكر، والحاكم في المستدرك، على شرط البخاري ومسلم، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع بسنده:

عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها أتت بابنيها ـ الحسن والحسين رضي الله عنهما ـ الى رسول الله ﷺ في شكواه الذي توفى فيه فقالت:

«يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً»، قال:

«أما الحسن فقد نحلته حلمي وهيئتي، وأما الحسين فقد نحلته نجدتي وجودي».

وأخرج أبو يعلى بإسناد جيد عن أم سلمة قالت:

« جاءت فاطمة بنت النبي ﷺ ، إلى رسول الله ﷺ متوركة[1] الحسن والحسين في يدها برمة للحسن فيها سخين حتى أتت بها النبي ﷺ فلما وضعتها قدامه قال :

أين أبو حسن؟ قالت : في البيت ، فدعاه فجلس النبي ﷺ ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، يأكلون .

قالت أم سلمة وما سامني النبي ﷺ ، وما أكل طعاماً وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم ، تعني سامني دعاني إليه ، فلما فرغ التف عليهم بثوبه ثم قال :

«اللهم عاد من عاداهم ، ووال من والاهم» .

وعن شداد بن عبد الله أبي عمار قال :

دخلت على واثلة بن الاسقع وعنده قوم فذكروا عليّاً رضي الله عنه ، فلما قاموا قال :

ألا أخبركم بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى .

قال أتيت فاطمة رضي الله عنها ، أسألها عن علي قالت : توجه الى رسول الله ﷺ ، ومعه حسن ، وحسين ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ، ومعه حسن وحسين ، وأخذ كل واحد منهما بيد ، حتى دخل ، فأدنى عليّاً وفاطمة ، وأجلس حسناً وحسيناً ، كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه أو كساءه ثم تلا هذه الآية :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وقال :

«اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق» .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ دعا لأهله فذكر عليّاً وفاطمة وغيرهما .

---

(١) يقول صاحب النهاية : « جاءت فاطمة متوركة الحسن » أي حاملته على وركها .

فقلت يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ قال: نعم ما لم تقم على باب سدة[1] أو أميراً تسأله .

رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

والسنة الشريفة والأسانيد الصحيحة ، فيها مالا يعد ولا يحصى من جملة الأحاديث الصحيحة والمتفق على صحتها ، حتى أفرد أصحاب الكتب الصحاح وغيرهم لذلك أبواباً كاملة أسموها وعنونوا لها بقولهم :

« فضل آل البيت » أو « مناقب أهل البيت » ، حتى تعدد ذلك في بطون كتب الصحاح ، بتعدد أسماء أهل البيت وغيرهم من الصحابة والتابعين ، مع ذكر مناقب لكل منهم ، فقالوا مثلاً:

مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه .

مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

مناقب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

مناقب الحسن بن علي رضي الله عنه .

مناقب الحسين بن علي رضي الله عنه .

وغير ذلك ، مما ذخرت كتب التراث الإسلامي الأصيل ، بذكر أسمائهم من أهل البيت وغيرهم ، ممن خلد الشرع ذكراهم ، ودون التاريخ سيرتهم .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية :

« السدة : كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه . وقيل هي الساحة بين يديه » أهـ .

وفضلاً عن أن الله تعالى صرح بذكرهم في كتابه ، والرسول ﷺ ذكر بهم ، وحث عليهم في سنته ، فهناك مسألة هامة آن لنا أن نوضحها وهي :

أن الله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع رسوله ﷺ فقال :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم ﴾(١)

وبطاعته فقال :

﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ ﴾(٢)

وبالاقتداء به فقال :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرجُواْ ٱللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ ﴾(٣) .

وبالاستجابة له فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَللرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُم ﴾(٤) .

وحذر سبحانه وتعالى من مخالفته والعدول عن أمره فقال :

﴿ فَلْيَحذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥) .

واتباع سيدنا رسول الله ﷺ ولزوم طاعته ، والاقتداء به ، والاستجابة له ، والتحذير ، والنهي ، والكف عن مخالفته ، كل ذلك أصل من أصول وجوب

---

(١) ال عمران آية : ٣١ .

(٢) البقرة اية : ٨٠ .

(٣) الأحزاب اية : ٢١ .

(٤) الأنفال اية : ٢٤ .

(٥) النور اية : ٦٣ .

متابعته ﷺ ، ولزوم طريقته ، والسير على سننه وسيرته :

يقول سبحانه :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

وامتثالا لأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة ، وتصديقاً لسيدنا رسول الله ﷺ ، واجب على العبد عرض كل ما وقع له من الخواطر في شئون دينه ودنياه ، وما يكاشف به الأحوال ، على الكتاب والسنة ، فما يقبله الكتاب والسنة ، فهو اتباع واقتداء ، وما لا يقبله الكتاب والسنة فهو ضلال وابتداع .

فمن رغب عن حب آل البيت وجفاهم ، وعن حب الأولياء كذلك وأبغضهم وأنكر ذلك جحداً بعد أن جاءه العلم ، فهو بهذه العقيدة ، راغب عن أمر الله تعالى ، وعن اتباع رسوله ﷺ .

والراغب عن أمر الله تعالى ، وعن اتباع رسول الله ﷺ على ضوء ما ذكر ، أعد نفسه من الذين قال الله لهم :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ الآية[1] .

يؤكد ذلك ويؤيده قوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

والقول الفصل في هذا ، والحكم العدل فيه ، هو قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا في أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِّمَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[2] .

فقد بينت أنه ثبت بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع الأئمة ، أن

---

(١) البقرة آية : ٨٥ .

(٢) النساء آية : ٦٥ .

الله تعالى افترض على العباد طاعته وطاعة رسولهﷺ ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما أمر به ونهى عنه ، إلا رسول اللهﷺ .

﴿ قُل إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ آللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ آللهُ وَيَغْفِر لَكُم ذُنُوبَكُمْ ﴾(١) .

حتى كان صديق الأمة وأفضلها بعد نبيهاﷺ ، ورضي الله عنه يقول :

« أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم » .

واتفقوا كلهم ، على أنه ليس أحد معصوماً في كل ما أمر به ونهي عنه إلا رسول الله ﷺ ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة :

« كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلاَّ رسول اللهﷺ » .

وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه ، وذلك هو الواجب .

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه :

هذا رأيي ، وهذا أحسن ما رأيت ، فمن جاء برأي خير منه قبلناه .

فلما اجتمع أفضل أصحابه : أبو يوسف ، بإمام دار الهجرة ، مالك بن أنس رضي الله عنه ، وسأله عن مسألة الصاع ، وصدقة الخضروات ، ومسألة الأحباس ، فأخبره مالك رضي الله عنه بما دلت عليه السنة في ذلك فقال :

« رجعت لقولك يا أبا عبد الله ، ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت » .

والله سبحانه وتعالى علق سعادة الدارين بمتابعتهﷺ ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته .

---

(١) ال عمران آية : ٣١ .

فلأتباعه صلوات الله وسلامه عليه : الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة ، والولاية والتأييد ، وطيب العيش في الدنيا والآخرة .

ولمخالفيه ﷺ : الذلة والصغار ، والخوف والضلال ، والخذلان والشقاء ، في الدنيا والآخرة .

وقد أقسم سيدنا رسول الله ﷺ ، بأن لا يؤمن أحد حتى يكون هو أحب اليه من نفسه وولده ، ووالده ، والناس أجمعين :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«والذي نفسي بيده، لا يؤ من أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين».

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص :

«لا يؤ من أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

وأقسم الله سبحانه بأنه لا يؤمن من لم يحكمه ﷺ في كل ما تنازع فيه هو وغيرهُ ، وإنما المؤمن هو من حكم الرسول ﷺ وقبل حكمه ، ولا يجد في نفسه حرجاً مما حكم به ، ثم يسلم له تسليماً ، وينقاد له انقياداً .

يقول سبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى آللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِم ، وَمَنْ يَعصِ آللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً ﴾[1] .

فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره تعالى وأمر رسوله ﷺ ، فليس لمؤمن أن يختار شيئا بعد أمره ﷺ ، بل إذا أمر فأمره حتم ، وإنما الخيرة في قول غيره ، إذا خفي أمره ، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته .

---

(١) الأحزاب آية : ٣٦ .

بهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع ، لا واجب الاتباع ، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه ، بل غايته أن يسوغ له أتباعه ، ولو ترك الأخذ بقول غيره ، لم يكن عاصياً لله ورسوله .

فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه ، ويحرم عليهم مخالفته ، ويجب عليهم ترك كل قول لقوله . . ؟

فلا حكم لأحد معه ، ولا قول لأحد معه ، كما لا تشريع لأحد معه ، وكل أحد سواه : فإنما يجب اتباعه على قوله ، اذا أمر بما أمر به ، ونهى عما نهى عنه ، فكان مبلغاً محضاً ومخبراً لا منشئاً ومؤسساً لا عابساً.

فمن أنشأ أقوالاً وأسس قواعد ، بحسب فهمه وتأويله ، لم يجب على الأمة اتباعها ، ولا التحاكم اليها ، حتى تعرض على ما جاء به ﷺ ، فإن طابقته ووافقته ، وشهد لها بالصحة ، قبلت ، وإن خالفته ، وجب ردها واطراحها ، وإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جعلت موقوفة ، وكان أحسن أحوالها : أن يجوز الحكم والإفتاء بها ، وأما أنه يجب ويتعين فلا .

وظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس ، لأنه يدل على أنه يجب متابعة قوله وحكمه على الإطلاق ، وأنه لا يجوز العدول عنه الى غيره ، ومثل هذه المبالغة المذكورة في هذه الآية قلما يوجد في شيء من التكاليف ، وذلك يوجب تقديم عموم القرآن الكريم والخبر الصحيح على حكم القياس . .

وقوله :

﴿ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ .

مشعر بذلك لأنه متى خطر بباله قياس يفضي الى نقيض مدلول النص ، فهناك يحصل الحرج في النفس ، فبين تعالى أنه لا يكمل إيمانه ، إلا بعد أن لا يلتفت الى ذلك الحرج ، ويسلم النص تسليماً كلياً ، وهذا الكلام قوي حسن لمن أنصف .

وقوله تعالى :

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

قسم من الله تعالى على أنهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط :

أولها قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ﴾ ، وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول ﷺ لا يكون مؤمناً، وأن من يتمسك بهذه الآية في بيان أنه لا سبيل الى معرفة الله تعالى إلا بإرشاد النبي المعصوم لأن قوله : ﴿ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُم ﴾ ، تصريح بأنهم لا يحصل لهم الإيمان إلا بأن يستعينوا بحكم النبي عليه الصلاة والسلام في كل ما اختلفوا فيه .

فلزم بحكم هذه الآية أنه لا يحصل الإيمان إلا بحكمه وإرشاده وهدايته ، ذلك أن عقول أكثر الخلق ناقصة وغير وافية بإدراك هذه الحقائق ، وعقل النبي المعصوم كامل مشرق ، فاذا اتصل اشراق نوره بعقول الأمة قويت عقولهم وانقلبت من النقص الى الكمال ، ومن الضعف الى القوة ، فقدروا عند ذلك على معرفة هذه الأسرار الالهية .

والذي يؤكد ذلك أن الذين كانوا في زمان الرسول ﷺ كانوا جازمين متيقنين ، كاملي الإيمان والمعرفة ، والذين بعدوا عنه اضطربوا واختلفوا ، وما حدث هذا الاضطراب وهذا الاختلاف إلا بعد زمان الصحابة والتابعين .

وقوله : ﴿ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ .

قال الزجاج : لا تضيق صدورهم من أقضيتك .

والراضي بحكم الرسول ﷺ ، قد يكون راضياً به في الظاهر دون القلب ، فبين سبحانه في هذه الآية أنه لا بد من حصول الرضا به في القلب ، وأن ميل القلب ونفرته شيء خارج عن وسع البشر ، فليس المراد من الآية ذلك ، بل المراد منه أن

يحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به الرسول ﷺ هو الحق والصدق .

وقوله :

﴿ ويُسَلِّمُوا تسْلِيماً ﴾ .

فمن عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقاً وصدقاً ، قد يتمرد في قبوله على سبيل العناد ، أو يتوقف في ذلك القبول ، فبين تعالى ، أنه كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب ، فلا بد أيضاً من التسليم معه في الظاهر .

فقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجَاً مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ .

المراد به الانقياد في الباطن .

وقوله ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ المراد منه : الانقياد في الظاهر .

عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال :

« لو أن قوماً عبدوا الله تعالى ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصاموا رمضان ، وحجوا البيت ، ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله ﷺ ألا صنع خلاف ما صنع ، أو وجدوا في أنفسهم حرجاً ، كانوا مشركين ، ثم تلا هذه الآية :

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُون حَتَّى يُحكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا في أنْفُسهِم حَرَجاً مِمَّا قضيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ .

وفي هذه الآية الكريمة التي نحن بصددها ، دلالة على أن الإيمان الحقيقي ، لا يحصل إلا لمن حكم الله تعالى ، وحكم رسول ﷺ عن نفسه ، قولاً ، وفعلاً ، وأخذاً ، وتركاً ، وحباً ، وبغضاً ، ويشمل ذلك حكم التكليف وحكم التصريف ، والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما .

فأحكام التكليف : الأوامر والنواهي ، المتعلقة باكتساب العباد .

وأحكام التصريف : هو ما أورد عليك ، من قهر المراد .

فتبين من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الإيمان إلا بأمرين :

بالامتثال لأمره ، والاستسلام لقهره .

ثم أنه سبحانه وتعالى ، لم يكتف بنفي الإيمان ، عمن لم يحكم ، أو حكم ووجد الحرج في نفسه على ما قضى ، حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة ، برسوله ﷺ ، رأفة وعناية ، وتخصيصاً ورعاية .

لأنه لم يقل : «فلا والرب» وانما قال : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ﴾ .

ففي ذلك : تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم عليه ، علماً منه سبحانه ، بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ، ووجود النصرة ، سواء كان الحق عليها ، أو لها ، وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله ﷺ ، اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه ، فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه ، والانقياد لأمره ، ولم يقبل منهم الإيمان بالآهيته ، حتى يذعنوا لأحكام رسوله ، ﷺ : لأنه كما وصفه ربه :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىَ ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(١) .

فحكمه : حكم الله ، وقضاؤه قضاء الله ، كما قال :

﴿ إِنَّ الَّذينَ يُبَايِعُونَكَ ، إِنَّما يُبَايِعُونَ آللهَ ﴾ وأكد ذلك بقوله : ﴿ يَدُ آللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم ﴾ . وفي الآية إشارة أخرى لعظم قدره ، وتفخيم أمره ، ﷺ ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ ﴾ .

فأضاف نفسه تعالى اليه ، كما قال في الآية الأخرى :

﴿ كهيعص ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ ﴾(٢) .

وأضاف الحق سبحانه ، اسمه الى محمد ﷺ : وأضاف زكريا اليه ليعلم

---

(١) النجم آية : ٤ .

(٢) مريم آية : ١ .

العباد ، فرق ما بين المنزلتين ، وتفاوت ما بين الرتبتين .

ثم أنه تعالى : لم يكتف بالتحكيم الظاهر ، فيكونوا به مؤمنين ، بل اشترط فقدان الحرج ـ وهو الضيق ـ من نفوسهم ، في أحكامه ، ﷺ ، سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها .

وإنما تضيق النفوس ، لفقدان الأنوار ، ووجود الأغيار ، فعنه يكون الحرج : وهو الضيق ، والمؤمنون ليسوا كذلك .

إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم ، فاتسعت وانشرحت ، فكانت واسعة بنور الواسع العليم ، ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه ، مفوضة إليه في نقضه وإبرامه .

يقول ابن تيمية :

انما جيء بصيغة التحكيم مع أنه ﷺ حاكم بأمر الله إيذاناً بأن اللائق بهم أن يجعلوه عليه الصلاة والسلام حكماً فيما بينهم ويرضوا بحكمه وإن قطع النظر عن كونه حاكماً على الإطلاق.

ولعل حكم هذه الآية باقٍ الى يوم القيامة ، وليس مخصوصاً بالذين كانوا في عصر النبي ﷺ ، فإن قضاء شريعته عليه الصلاة والسلام قضاؤه .

وبعد : فإن الاتجاه الى الله تعالى ، والتسليم المطلق لما قضى رسوله ﷺ ، وإيثار تحكيمه صلوات الله وسلامه عليه فيما أشكل من أمور ديننا ودنيانا ، هو الإيمان الصادق الذي يذوق معه العبد حلاوة الإيمان ، ويغمر قلبه برد الرضا وسلامة التسليم .

روى مسلم في صحيحه ، والترمذي في سننه عن الغباس بن عبد المطلب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«ذاق طعم الإيمان، من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً».

يقول صاحب التحرير ، رحمه الله تعالى :

« معنى رضيت بالشيء قنعت به ، واكتفيت به ، ولم أطلب معه غيره ، فحينئذ يكون معنى الحديث :

لم يطلب غير الله تعالى ، ولم يسع في غير طريق الإسلام ، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ .

ولا شك في أن من كانت هذه صفته ، فقد خلصت حلاوة الإيمان الى قلبه ، وذاق طعمه » أهـ .

وقال القاضي عياض رحمه الله : معنى الحديث :

« صح إيمانه ، واطمأنت به نفسه ، وخامر باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات ، دليل على ثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة الإيمان بشاشة قلبه » أهـ .

وفي هذا الحديث الشريف دليل على أن من لم يكن كذلك ، لا يجد حلاوة الإيمان ، ولا يدرك مذاقه ، وإنما يكون إيمانه صورة لا روح فيها ، وظاهراً لا باطن له ، ومرتسماً لا حقيقة تحته .

وفيه إشارة الى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى ، تنعم بملذات المعاني ، كما تنعم النفوس بملذات الأطعمة .

وإنما ذاق طعم الإيمان ، من رضي بالله رباً ، لأنه لما رضي بالله رباً ، استسلم له ، وانقاد لحكمه ، وألقى قياده اليه خارجاً عن تدبيره واختياره ، الى حسن تدبير الله واختياره ، فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض .

ولما رضي بالله رباً ، كان له الرضا من الله ، كما قال الله تعالى :

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

واذا كان له الرضا من الله ، أوجده الله حلاوة ذلك ، ليعلم ما من به عليه ،

وليعلم إحسان الله اليه .

ولا يكون الرضا بالله إلا مع الفهم ، ولا يكون الفهم إلا مع النور ، ولا يكون النور إلا مع الدنو ، ولا يكون الدنو إلا مع العناية .

فلما سبقت لهذا العبد العناية ، خرجت له العطايا من خزائن المنن ، فلما واصلته أمداد الله وأنواره ، عوفي قلبه من الأمراض والأسقام ، فكان سليم الإدراك ، فأدرك لذاذة الإيمان ، وحلاوته لصحة إدراكه ، ولسلامة ذوقه .

ولو سقم قلبه بالغفلة عن الله ـ والعياذ بالله تعالى ـ لم يدرك ذلك لأن المحموم ، ربما وجد طعم السكر مراً ، وليس هو في نفس الأمر كذلك .

فإذا ما زالت أسقام القلوب ، أدركت الأشياء على ما هي عليه ، فتدرك حلاوة الإيمان ولذاذة الطاعة ، ومرارة القطيعة والمخالفة .

فيوجب إدراكها لحلاوة الإيمان ، اغتباطها به ، وشهود المنة من الله عليها فيه ، وتطلب الأسباب الحافظة للإيمان ، والجالبة له .

ويوجب إدراك لذاذة الطاعة ، المداومة عليها ، وشهود المنة من الله فيها .

ويوجب إدراكها لمرارة الكفران والمخالفة ، والترك لهما ، والنفور عنهما ، وعدم الميل اليهما ، فيحمل على الترك للذنب ، وعدم التطلع اليه وليس كل متطلع تاركاً ، ولا كل تارك غير متطلع .

وإنما كان كذلك : لأن نور البصيرة دال على أن المخالفة لله ، والغفلة عنه ، سم للقلوب مهلك .

فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله تعالى ، كنفرتك عن الطعام المسموم .

وقوله ﷺ : «وبالإسلام ديناً» .

لأنه إذا رضي بالإسلام ديناً ، فقد رضي بما رضي به المولى واختاره ، لقوله تعالى :

﴿ وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإسْلاَمَ دِيناً ﴾ .

ولقوله تعالى :

﴿ إنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ آللهِ الإسْلاَم ﴾ .

ولقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلاَمِ دِيناً ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

ولقوله تعالى :

﴿ إنَّ آللهَ اصطَفَىٰ لَكُمُ الدِّيْنَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

واذا رضي بالإسلام ديناً ، فمن لازم ذلك :

امتثال الأوامر ، والانكفاف عند وجود الزواجر ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والغيرة اذا رأى ملحداً يجادل ، أن يدخل فيه ما ليس منه ، فيدفعه ببرهانه ، ويقمعه بتبيانه .

وقوله ﷺ ، «وبمحمد رسولاً» .

فلازم من رضي بمحمد رسولاً أن يكون له ولياً ، وأن يتأدب بآدابه ، وأن يتخلق بأخلاقه ، زاهداً في الدنيا ، وخروجاً عنها ، وصفحاً عن الجناية ، وعفواً عمن أساء اليه ، الى غير ذلك من تحقق المتابعة ، وفعلاً ، وأخذاً ، وتركاً ، وحباً ، وبغضاً ، وظاهراً ، وباطناً .

فمن رضي بالله ، استسلم له ومن رضي بالإسلام : عمل له ، ومن رضي بسيدنا محمد ﷺ : تابعه ، ولا تكون واحدة منها إلا بكلها .

إذ محال أن يرضى بالله رباً ، ولا يرضى بالإسلام ديناً ، أو يرضى بالإسلام ديناً ، ولا يرضى بسيدنا محمد نبياً ، وتلازم ذلك ، بين لا خفاء فيه[١] . .

---

(١) التنوير في اسقاط التدبير بتصرفه .

وبعد :

فما على الذين أنكروا الحق في وضح النهار ، وآثروا البغض على ما فيه من شر على الحب بما فيه من جمال ، حتى خالطت جفوة أهل البيت والأولياء قلوبهم ، علوا واستكباراً ، واستحوزت قسوة البغض على شعورهم وإحساساتهم جهلاً وإنكاراً، وسيطرة أفكارهم السقيمة على إدراكاتهم زوراً وبهتاناً.

فما على هؤلاء وأولئك بعد هذا البيان الآلهي الذي حملته بين طياتها الآية الكريمة :

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ .

ما عليهم بعد هذه الآية ، وبعد ما جاء في بيان مضمونها من توضيح واضح ، إلا آن يرفعوا غشاوة البغض والجفوة عن قلوبهم ، وأن يفيقوا من سبات إنكارهم وجحودهم ، ويؤثروا الحق ، ويقتدوا بتعاليم سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه ، لعل باب القبول يفتح ، وساحة الرحمن تسمح ، والتوبة تجب ما قبلها .

والله سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواأَطِيْعُوا آللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[1] .

﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُم لاَ يَسْمَعُونَ .

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ آللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذينَ لاَ يَعْقِلُونَ .

وَلَوْ عَلِمَ آللهُ فِيهِم خَيْراً لأَسْمَعَهُم ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُم ، وَآعْلَمُوا أَنَّ آللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1] .

---

(١) الأنفال آية ١٩ - ٢٤ .

فضل أهل البيت في السنة الشريفة

يقول الله تعالى :

﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ ٱلمَوَدَّةَ في القُربَىٰ ، وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾[1] .

القول الحسن ما يكون لقائله الحق أن يقول به ، ويزود عنه ، ويدعو إليه .

والقول الأحسن ـ مبالغة من الحسن ـ ما له دليل قطعي لصحة ما يقول به قائله ، وينتصر له ويحتج به .

وعلى هذا الأحسن من القول : ما لا يجوز تركه ، بل على هذا الأحسن من القول أيضا ، ما يوضح أن الحق لا بد وأن يكون حقا ، سواء كاد للإنسان أم عليه ، لأنه أقوى وأظهر ، وهو أحق بأن يتبع .

ومن الأحسن من القول كذلك : ما يخاف قائله أيضاً ، من الوقوع في الخطأ ، ومن العقوبة على تركه .

---

(١) الشورى آية : ٢٣ .

كما أن من الأحسن من القول كذلك : إقرار الذي أخطأ بجرم الخطأ .

فأحسن قول من المخطئين : الإقرار بالجرم ، وأحسن قول من العارفين : الإقرار بالعجز عن المعرفة .

والإقرار بالحق : شهادة فائقة ، يعتز بذكرها أصحاب الهمم العالية ، والعفة النادرة ، والإنكار للحق : عجز يؤدي بصاحبه الى حضيض الإسفاف والمغالطة ، ولكل من هذا أو ذاك له من الجزاء الذي أوجبه ، من لا يظلم مثقال ذرة .

والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن نركيب ، وأعظم ترتيب في الأعضاء الظاهرة ، والأجزاء الباطنة ، والنور والضياء ، والفهم والذكاء .

ورزقه سبحانه من العقل والتفكر ، والعلم والتبصر ، وفنون المناقب التي خص بها من الرأي ، والتدبير .

ثم في آخر عمره يجعله الى أرذل العمر مردوداً ، ويرى في كل يوم ألماً جديداً ، وزمناً يسيراً .

وفضلاً عن هذا وذاك فقد أسبغ الله سبحانه نعمه الظاهرة والباطنة ، وجعل لكل فريق شرعة هم واردوها ، ولكل جماعة طريقة هم سالكوها ، وجعل لكل مقام سكانه ، ولكل محل قطانه ، فقد ربط كلاً بما هو أهله ، وأوصل كلاً الى ما جعله محلاً له .

فبساط التعبد موطوء بأقدام العابدين .

ومشاهد الاجتهاد معمورة بأصحاب التكلف من المجتهدين .

ومجالس أصحاب المعارف مأنوسة بلزوم العارفين .

ومنازل المحبين مأهولة بحضور الواجدين .

وليس من قام بمعاملة ظاهرة ، كمن استقام في مواصلة سرائر باطنة .

ولا من اقتبس من سراج علومه ، كمن استبصر بشموس معارفه .

ولا من نصب بالباب من حيث الخدمة ، كمن مكن من البساط من حيث القربة .

ولا نعت من تكلف نفاقاً ، كوصف من تحقق وفاقاً.

ولا من أقبل فجبر ، كمن أعرض فطرد .

ولا من قبل أمره ، كمن رد شأنه .

ولا من وحد وشهد ، كمن أنكر وجحد .

ولا من عبد فعرف ، كمن عاند فتلف .

ولا من أتى فلزم ، كمن عارض وأبى .

فلا جرم أن من لزم الباب ، وداوم الوقوف على الأعتاب ، ربحت تجارته ، وجلت رتبته ، ومن بعد عن بساط العبادة ، فاستطاب الدعة ، ورضي بالرّاحة في منازل الفرقة ، دهمته الحسرة ، واستحوذت عليه الغفلة ، ولو أنه رجع الى الله تعالى بصدق الندم ، لقابله سبحانه بالفضل والكرم ، ولكن القضاء غالب ، والقدر نافذ ، والحيلة مردودة والتكلف ساقط .

لهذا : كان الناس في المسارعة على أقسام :

فالعابدون : يسارعون بأقدامهم في الطاعات .

والعارفون : يسارعون بهممهم في القربات .

والعاصون : يسارعون بندمهم بتجرع الحسرات .

فمن سارع بَقدمه : وجد مثوبته .

ومن سارع بهممه : وجد قربته .

ومن سارع بندمه : وجد رحمته .

والحق سبحانه وتعالى لا يستتر عن رؤيته مدرك ، ولا تخفي عليه من مخلوقاته خافية ، وإنما الحجب على أبصار الخلق وبصائرهم ، فالعادة جارية بأنه لا يخلق لنا الإدراك لما وراء الحجب والأستار .

وكذلك اذا حلت الغفلة في القلوب استولى عليها الذهول ، وانسدت بصائرها ، وانتفت فهومها ، واستمسكت أقفالها ، وتراكمت ظلماتها .

وفوقنا حجب ظاهرة وباطنة ، ففي الظاهر السموات ، حجب تحول بيننا وبين المنازل العالية ، وعلى القلوب أغشية وأغطية كالمنية والشهوة ، والإرادات الشاغلة والغفلات المتراكمة .

أما المريدون فاذا أظلتهم سحائب الفترة ، وسكن هيجان إرادتهم ، فذلك من الطرائق التي عليهم .

وأما الزاهدون فاذا تحرك بهم عرق الرغبة انفلتت قوة زهدهم ، وضعفت دعائم صبرهم ، فيترخصون بالجنوح الى بعض التأويلات ، فتعود رغباتهم قليلاً قليلاً ، ويختل عزوفهم ، وتنهد دعائم زهدهم ، وبداية ذلك من الطرائق التي خلفت فوقهم .

وأما العارفون : فربما تظلهم في بعض أحايينهم وقفة في تصاعد سرهم الى ساحات الحقائق ، فيصيرون موقفين ريثما يتفضل الحق سبحانه عليهم بكفاية ذلك ، فيجدون نفاذاً ، ويرفع عنهم ما عاقهم من الطرائق .

وفي جميع هذا فإن الحق سبحانه غير غافل عن الخلق ، ولا تارك للعباد .

غير أن البغض زين على القلوب يحجب نفاذ البصيرة عن المشاهدة والإيثار .

والمحبة ود صادق يرفع أستار الغفلة ، ويمحو تراكم الظلمات . ويربط أهل الأرض بمدد أهل السماء .

لهذا جاءت الشريعة مليئة بنصوص الترغيب في حب أهل البيت والأولياء ، وحسن المعاملة معهم ، والمحافظة على مودتهم .

كما أنها جاءت مليئة كذلك بالنهي عن بغضهم ، وعدم مودتهم ، والتحذير من عداوتهم .

وبما أن الحب والبغض ضدان لا يجتمعان ، فقد جاءت الآيات الكريمة في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية في السنة الشريفة ، بالحض على كل منهما ، اذ الترغيب في الشيء نهي عن ضده .

ولما سبق أن تحدثنا عن آل البيت وبيان ما لهم من ولاء وفضل ، وتقدير وإجلال ، واحترام ووفاء ، ناسب أن ننبه : أننا آثرنا الحديث عنهم هنا لما لهم من علو الهمة ، وسمو المكانة ، ووفاء التقدير ، لا لأنهم مجرد آل البيت فحسب ، بل لأن الحق سبحانه وتعالى اختارهم لولايته ، واصطفاهم لمحبته ، وتولاهم بمعرفته ، وآثرهم بقربه ، حتى كانوا هم : السادة الأعزاء ، والأفاضل الكرماء والأحباب الأصفياء ، والأطهار الأولياء .

بل إننا نؤثر الكتاب عنهم لأنهم صفوة الله المختارة من خلقه ، الذين أقامهم الحق سبحانه بحق حقه ، وأقعدهم عن تحصيل حظوظهم ، وقام هو سبحانه بكفايتهم بكل وجه ، وتولاهم برعايته في كل عهد .

فمن لازم طريق الاستقامة من الخلق في حقهم ، ولم يزغ عن حدهم ، ولم ينزغ في عهدهم ، فالله تعالى يصدق وعده له بجميل الكفاية ودوامها .

ومن ضل عن الاستقامة معهم ، عثر في مشيئته ، واضطربت عليه حاله وكفايته ، لأنهم رضوان الله عليهم ، هم الذين درجوا على الوفاء والمودة ، وقاموا بحق الصفاء والمحبة ، ولم يرجعوا عن الطريق ، وطالبوا نفوسهم بالتحقيق ، وأخذوا عليها بالتضييق ، حتى وجدوا محبة الحق سبحانه ميراث صبرهم ، وكان الخلف عنهم هو الحق عند نهاية أمرهم ، فما نزغوا عن شرط الجهد ، ولا زاغوا في

حفظ العهد ، وسلموا تسليماً ، وخرجوا عن الدنيا وكان كل واحد منهم للعهد مقيماً ، وعلى شرط الخدمة والوداد مستقيماً .

وحكمة الترغيب في حبهم : إيصال نتيجته لهم ، وهو النفع الدنيوي ، ونية التقرب بذلك لرسول الله ﷺ ، سواء كان النفع مادياً ، أو معنوياً ، والذي هو أكد من هذا كله ، وأعم وأوثق لعرى المحبة ، هو العفو عن مسيئهم ، وليس أدل على ذلك مما فعل إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كما ثبت في قصته مع جعفر بن سليمان العباسي ، عامل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأعظم التحية ، أنه لما ضربه ، ونال منه ، قال :

أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ، ثم سئل عن ذلك فقال :

« خفت أن أموت وألقى النبي ﷺ ، وأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي » .

ولا شك أن هذا يعد بحق ، أبلغ ما يكون في تقدير أهل بيت رسول الله ﷺ ، وأعظم عفو عمن أساء منهم على وجه الفرض ، حسبة لوجه الحق سبحانه وتعالى .

ولما قدم جعفر المنصور المدينة المنورة ، أراد اقادته من عاملها جعفر بن سليمان المذكور ، فقال الإمام مالك رضي الله عنه :

« أعوذ بالله ، والله ما ارتفع منه سوط إلا وقد جعلته في حل ، لقرابته من رسول الله ﷺ » اهـ .

وحكمة الترهيب من بغضهم : كف نتيجة البغض عنهم ، وهي : إذايتهم أو السعي بهم الى من يؤذيهم ويبغضهم .

وأفحش من هذا وأشنع : الاعتداء على شرفهم ، والنيل من أعراضهم ، وإنكار كراماتهم التي أيدهم الله تعالى بها .

ومحبة أهل البيت المعتمدة هي المحبة التي توصل الى حب الله سبحانه تعالى ،

دنيا وأخرى ، وهي المحبة القلبية التي تمتزج أيضاً باتباع سنة رسول الله ﷺ .

اذ مجرد اتباع محبتهم باللسان فقط رياء وسمعة ليس لها حظ من القبول ، ولا مكانة عند رسول الله ﷺ .

والمحبة الصادقة ـ على ضوء ما ذكرنا ـ لا بد وأن تكون ممزوجة مع اتباعه ﷺ ، وحبه لآل بيته ، لأن مجانبة سنة رسول الله ﷺ ، توجب المعاتبة للمرتكبين من رسول الله ﷺ ، والمحبة مع المجانبة للسنة النبوية الشريفة لا تجدي نفعاً ، ولا تفيد مدعيها شيئاً من الخير ، بل تكون على مرتكبها وبالاً ونكالاً ، فإن حقيقة المحبة : الميل الى سنة المحبوب ، وإيثار محبوباته ومرضياته على عموم محبوبات النفس ومرضياتها دائماً أبداً .

والتأديب بآداب ، محبة أهل البيت خصوصاً ، وبالأدب مع الأئمة عموماً ، ومراعاتهم في عموم العبادات توصل الى الله سبحانه وتعالى ، ولذلك قال الإمام علي رضي الله عنه :

« لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر » .

وتوضيحاً لمكانة آل البيت في السنة الشريفة ، ووفاء لحقهم ، ناسب هنا أن نذكر ما يلي :

أخرج الترمذي في سننه عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله ﷺ :

«إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر:

كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» .

وأخرج الترمذي في سننه ، والحاكم في المستدرك على شرط البخاري ومسلم ،

وأقره الذهبي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي».

وأخرج ابن عدي في الكامل ، والديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي».

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير ، وأبو الشيخ ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي مرفوعاً ، أن رسول الله ﷺ قال :

«لا يؤ من عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته».

وفيما أخرجه ابن ماجه في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كنا نلقى قريشاً وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم ، فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

ما بال أقوام يتحدثون، فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم؟

والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني».

وفي رواية أخرى عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ :

«ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم؟

والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتي».

وأخرج الطبراني في معجمه ، والبيهقي في الدلائل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«من سره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي».

وأخرج الطبراني، وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً:

أن يثبت قائمكم، ويعلم جاهلكم، ويهدي ضالكم

وسألته أن يجعلكم جوداء، نجداء، رحماء

فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام، وصلى وصام، ثم مات وهو مبغض لآل بيت محمد ﷺ، دخل النار»

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ جاء الى باب علي رضي الله عنه أربعين صباحاً بعدما دخل على فاطمة فقال:

السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته:

«اللهم أرض عنهم كما أنا عنهم راض».

وعن علي أنه دخل على النبي ﷺ وقد بسط شملة فجلس عليها وهو وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أخذ النبي ﷺ بمجامعه فعقد عليهم ثم قال:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والبيهقي في السنن عن عائشة أنها قالت:

خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرحل من شعر أسود ، فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ، ثم جاء علي فأدخله فيه ، ثم جاء حسن فأدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه ، ثم قال :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً ﴾ .

وعن أم سلمة أنها قالت بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قالت الخادم : إنَّ عليّاً وفاطمة بالسدة[1] .

فقال لها : قومي فتنحي لي عن أهل بيتي ؟

قالت : فقمت فتنحيت في البيت قريباً ، فدخل علي وفاطمة ، ومعهما الحسن والحسين ، وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما ، واعتنق عليّاً باحدى يديه ، وفاطمة باليد الأخرى ، فقبل فاطمة وقبل عليّاً فأغدق عليهما خمصة سوداء فقال :

«اللهم إليك لا إلى النار، اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي».

فقلت وأنا يا رسول الله ؟ فقال وأنت .

ورواه الحاكم مختصراً ، وفيه أنه أرسل الى حسن وحسين وعلي وفاطمة فانتزع كساءه عني فألقاه عليهم وقال :

«اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

وروى بألفاظ متعددة ففي لفظ لأبي يعلى أنه وضع يديه على الكساء فقال :

« اللهم أن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد ، قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه وقال إنك على خير » .

---

(١) والسدة كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر .

وفي لفظ لأبي يعلى أنه قال :

« اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» .

وأخرج الحافظ العراقي عن عطية العوفي أنه سأل أبا سعيد الخدري عن قوله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ﴾ الآية :

فأخبره أنها أنزلت في رسول الله ﷺ ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، رضي الله عنهم .

ويعلق قتادة رضي الله عنه على هذه الآية فيقول :

هم أهل بيت طهرهم الله من السوء واختصهم برحمته[1] .

وحدث الضحاك بن مزاحم رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول :

«نحن أهل البيت، طهرهم الله، من شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم».

وعن ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله ﷺ ، اذ مر الحسن والحسين وهما صبيان فقال : هاتوا ابني أعوذهما بما عوذ به ابراهيم ابنيه : اسماعيل واسحق ، فضمهما الى صدره وقال :

«أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»

وكان ابراهيم النخعي يستحب أن يواصل هؤلاء الكلمات بفاتحة الكتاب .

وقال منصور : تعوذوا بها فإنها تنفع من العين والفزعة ومن الحمى ومن كل وجع .

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد أعطي سبعة رفقاء، نجباء، وزراء.

وأني أعطيت أربعة عشر «حمزة، وجعفر، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحسن، وحسين، وعبد الله بن مسعود، وأبو ذر، والمقداد، وحذيفة، وعمار، وسلمان»أهـ.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها :

«نبينا خير الأنبياء وهو أبوك.

وشهيدنا خير الشهداء، وهو عم أبيك حمزة.

ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء،وهو ابن عم أبيك جعفر.

ومنا سبطا هذه هذه الأمة: الحسن والحسين،وهما ابناك ومنا المهدي» أهـ.

وأخرج الحافظ العراقي وأبو يعلى عن علي رضي الله عنه أنه قال :

« خطبت الى النبي ﷺ ابنته فاطمة فباع علي درعاً له وبعض ما باع من متاعه فبلغ أربعمائه وثمانين درهماً فأمره النبي ، أن يجعل ثلثيه في الطيب ، وثلثه في الثياب ، ومج في جرة من ماء ، وأمرهم أن يغتسلوا به ، وأمرها أن لا تسبقه برضاع ولدها ، فسبقته برضاع الحسين ، وأما الحسن فإنه صنع في فيه شيئا لا يدري ما هو ، فكان أعلم الرجلين » اهـ .

وأخرج أبو يعلى والحافظ العراقي والخطيب عن أبي هريرة مرفوعا أنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول :

«من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول :

« ما رأيت الحسن إلا فاضت عيناي ، أو دمعت عيناي ، وذلك انـي رأيت رسول الله ﷺ يدخل فمه في فمه ثم يقول :

«اللهم أني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، يقولها ثلاث مرات».

وأخرج الترمـذي في سننـه ، وأبـو يعلى في مسنـده ، والطبرانـي في المعجـم الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

إن النبي ﷺ ، أخذ بيد حسن وحسين فقال :

«من أحبني، وأحب هذين، وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

وفيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحهما والبيهقي وابن عساكر ، والطبراني في المعجم الكبير ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

«اللهم إني أحب حسناً فأحبه، وأحب من يحبه».

وفيما أخرجه الترمذي في سننه ، وابن حبان في صحيحه ، عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال :

«هذان إبناي وإبنا ابنتي، اللهم أني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما».

وأخرج ابن عساكر ، والحاكم في المستدرك على شرط البخاري ومسلم ، أن رسول الله ﷺ قال :

«الحسن والحسين إبناي : من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة.

ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار».

وعن عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي بريدة يقول :

كان النبي ﷺ يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران . فنزل رسول الله ﷺ من المنبر ، فحملهما بين يديه ، ثم قال :

«صدق الله ﴿إِنَّما أَمْوَالُكُمْ وأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾».

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما».

أخرجه الحاكم في المستدرك على شرط البخاري ومسلم ، وأقره الذهبي في التلخيص .

وفيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير . والحاكم في المستدرك على شرط البخاري ومسلم ، أن رسول الله ﷺ قال :

«من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم.

ومن أبغضهما أو بغى عليهم أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله جهنم وله عذاب مقيم».

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فيما أخرجه الطبراني في الأوسط ، أن رسول الله ﷺ قال :

«الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عز وجل، وهو يودنا، دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا».

وأخرج ابن خزيمة ، وأبو يعلى في مسنده ، وابن سعد عن شداد أنه قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء : الظهر أو العصر ، وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدم فوضعه ثم كبر في الصلاة فسجد بين ظهري صلاة

سجدة أطالها، فرفعت رأسي فرأيت الصبي على ظهره وهو ساجد فرجعت في سجودي فلما قضى الصلاة ، قال الناس يا رسول الله :

إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر يوحى اليك ؟

قال :

«كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

وعن جابر قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما فقلت : نعم الجمل جملكما .

«فقال ونعم الراكبان هما».

وفي لفظ دخلت عليه والحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع وهو يقول :

«إن ابني هذا سيد، يصلح الله به بين فئتين من المسلمين».

وروي بلفظ: «إن ابني هذا سيد وليصلحن الله على يديه بين فئتين من المسلمين عظيمتين».

وفي لفظ: «إن ابني هذا سيد إن يعش يصلح الله به بين طائفتين من المسلمين».

ورواه الإمام أحمد عن أبي بكر بلفظ :

« إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

ورواه المحاملي وأبو يعلى والخطيب والبيهقي .

وقال سفيان قوله : بين فئتين من المسلمين يعجبنا جداً .

وأخرجه الحافظ من طرق متعددة جداً وفي بعضها :

« فينظر اليهم فإذا هم على أمثال الجبال من الحدث ، فيقول : اضرب هؤلاء بعضهم ببعض في ملك من ملك الدنيا لا حاجة لي به » .

وقال الحسن البصري : ما أهريق في ولايته محجمة من دم .

وفي بعض ألفاظه :

« إن ابني هذا ريحانتي من الدنيا ، وأن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

أخرجه ابن عدي .

وروى الحافظ العراقي أن عمر بن الخطاب ، لما دون الديوان ، وفرض العطاء ، الحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما ، مع أهل بدر لقرابتهما من رسول الله ﷺ ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم .

وعن مدرج بن زياد أنه قال :

كنا في حيطان بن عباس وحسن وحسين فطافوا في البستان فنظروا ثم جاءوا الى ساقية فجلسوا على شاطئها فقال لي حسن :

يا مدرك أعندك غذاء ؟ فقلت قد خبزنا .

فقالت اثت به فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتين بقل فأكل ثم قال :

يا مدرك ما أطيب هذا ، ثم أتى بغذائه وكان كثير الطعام طيبه .

فقال يا مدرك : اجمع لي غلمان البستان .

قال : فتقدم اليهم فأكلوا ولم يأكل ، فقلت ألا تأكل ؟

فقال ذلك أشهى عندي من هذا ثم قاموا فتوضئوا ، ثم قدمت دابة الحسن

فأمسك له ابن عباس بالركاب ، سوى عليه ، ثم جاء بدابة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوى عليه ، فلما مضيا قلت :

أنت أكبر منهما تمسك لهما الركاب وتسوي عليهما ؟ فقال :

يا لكع أتدري من هذين ؟ هذان ابنا رسول الله ﷺ ، أليس هذا مما أنعم الله علي به أن أمسك لهما وأسوي عليهما . اهـ .

وقال أبو سعيد :

رأيت الحسن والحسين صليا مع الإمام العصر ثم أتيا الحجر فاستلماه ثم طافا أسبوعاً ، وصليا ركعتين ، فقال الناس :

« هذان ابنا بنت رسول الله ﷺ ، فحطمها الناس حتى لا يستطيعا أن يمضيا ومعهما رجل من الركانات ، فأخذ الحسن بيد الركاني ورد أناس عن الحسين ، وكأن عجلة ، وما رأيتهما مرا بالركن الذي يلي الحجر من جانب إلا استلماه » .

فقيل لأبي سعيد : لعله بقي عليهما بقية من أسبوع قطعته الصلاة ؟

فقال : لا ، بل طافا أسبوعاً تاماً .

وقال سليمان بن شداد : كنت ألاعب الحسن بالمداحي فكنت اذا أصبت مدحاته يقول لي :

أيحل لك أن تركب بضعة من رسول الله ﷺ ؟

واذا أصاب مدحاتي قال لي :

أما تحمد الله أن تركبك بضعة من رسول الله ﷺ . . ؟

والقرآن الكريم ـ كما سبق أن ذكرنا ـ أوضح مكانة أهل البيت في كثير من آياته ، والسنة الشريفة الصحيحة المطهرة كذلك عامرة بالكثير والكثير من الأحاديث التي تشيد بذكرى آل البيت ، وبيان ما لهم من فضل ، وما هم عليه من صفاء

الروح ، وطهارة القلب وتزكية النفس ، ويكفي أهل البيت شرفاً وفخراً وتعظيماً ، أن جدهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، الذي اصطفاه الله لرسالته ، وأرسله للعالمين رحمة ، بل ويكفي آل البيت شرفاً وتقديراً ، أن الصلاة على جدهم ﷺ ، بها كمال الصلاة المفروضة وتمامها .

ولقد أخذ الإمام الشافعي بوجوب الصلاة على النبي ﷺ ، وعلى آله ، ولذلك قال رضي الله عنه ، في هذا المعنى ، مشيراً الى وصفهم ، ومنبها على ما خصهم الله تعالى به من رعاية فضلهم ، ووجوب محبتهم ، وتحريم بغضهم التحريم الغليظ بقوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكموا
فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكموا من عظيم الأجر أنكموا
من لم يصل عليكم لا صلاة له

وحب آل البيت يتمثل خير ما يتمثل في إكرامهم في حياتهم ، وبعد مماتهم . وإكرامهم على هذا النحو إنما يكون بمحبتهم وتعظيمهم وتقديرهم واحترامهم ، مع مراعاة الأدب معهم استجابة لأمر رسول الله ﷺ ، وتحقيقاً لدعوته إذ قال صلوات الله وسلامه عليه :

«أولادي ، أولادي إن أحسنوا فلأنفسهم ، وإن أساءوا فالضمان علي» .

وبعد : فقد أخرج الترمذي ، والطبراني في المعجم الكبير ، وابن مردويه ، وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن الله قسم الخلق قسمين ، فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله :

﴿ وأَصْحَابُ اليَمِيْنِ مَا أَصْحَابُ اليمِيْنِ ، وأَصْحَابُ الشِّمالِ ما أصحاب الشِّمَالِ ﴾ .

وأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين».

ثم جعل القسمين أثلاثاً، فجعلني من خيرها ثلثاً فذلك قوله:

﴿ فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ ، مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ المَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ ﴾ .

فأنا من السابقين، ! وأنا خير السابقين.

ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله:

﴿ وَجَعَلْنَاكُم شعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ آللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر.

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ آللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً ﴾ .

فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب[1].

---

(١) انظر التفسير بالمأثور للسيوطي .

لمحة عن الإمام الحسن رضي الله عنه

أهل البيت هم المختصون بالطهارة الحقة ، اختارهم الله تعالى فأسبغ عليهم نعمه ، واصطفاهم سبحانه فأفاض عليهم من مخزون سرائره وحكمه ، وتولاهم بفضله فأغدق عليهم من جزيل عطاياه ومننه ، ولكل منهم في هذا الأمر قدم ثابتة ، وجاه واسع ، ورحاب فسيح .

وهم بجملتهم رضوان الله عليهم ، قدوة أهل الصدق والإخلاص ، والمودة والإنصاف ، سواء منهم العام والخاص ، ومنهم على طريق الحب والود ، لا الحصر والعد :

قطعة كبد سيد البشر ، صلوات الله وسلامه عليه ، وريحانة قلب المصطفى ، وشبيه جده الرسول المجتبى ، وقرة عين الزهراء ، سيدة نساء العالمين :

أمير المؤمنين ، سبط رسول الله رب العالمين ، سيد شباب أهل الجنة ، أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الهاشمي القرشي .

أمه فاطمة الزهراء ، بنت سيدنا رسول الله ﷺ ، وهو أكبر أولادها ، وأولهم ، ولد في المدينة المنورة ، في شعبان سنه ثلاث من الهجرة .

وقيل : في نصف شهر رمضان منها .

وقيل : ولد سنة أربع ،

وقيل : سنة خمس ، والأول أثبت .

حنكه رسول الله ﷺ بريقه الشريف .

وأذن في أذنه ، وسماه الحسن ، رضي الله عنه ، وعق عنه بكبش .

كان حليماً عاقلاً ، كريماً شهماً ، سخياً سمحاً ، ورعاً تقياً ، محباً للخير ، فصيح القول ، بليغ العبارة ، حسن المنطق ، حاضر البديهة ،

لين الجانب ، سخي النفس ، قوي الإرادة ، ثابت الهمة ، راسخ التسليم ، محكم التفويض لله رب العالمين .

له في طريق القوم تأمل كامل ، وحظ وافر ، وفكر ثاقب ، وقلب طاهر ، وروح مشرقة ، ونفس مضيئة مطمئنة .

روي مرفوعا الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

لما حضرت ولادة فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس ، وأم سلمة رضي الله عنهما .

أحضرا فاطمة ، فإذا وقع ولدها واستهل صارخاً فأذنا في أذنه اليمنى ، وأقيما في أذنه اليسرى ، فإنه لا يفعل ذلك بمثله ، إلا عصم من الشيطان ، ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما .

فلما ولدت فعلنا ذلك ، وأتاه رسول الله ﷺ فسره ولباه بريقه وقال :

«اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم».

فلما كان اليوم السابع من مولده ، قال رسول الله ﷺ :

«ما سميتموه؟ قالوا حرباً. قال: بل سموه حسناً» . أ. هـ.

وأخرج البغوي في معجمه ، وابن عساكر في تاريخه ، والإمام أحمد في مسنده ، عن جابر رضي الله عنه قال : إن أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب قالت :

يا رسول الله كأن عضواً من أعضائك في بيتي .

فقال ﷺ :

«خير رأيتيه، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبن قثم، فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم» .

قالت : فجئت به الى النبي ﷺ ، فوضعته في حجره ، فبال ، فضربت كفه، فقال ﷺ : «أوجعت ابني، رحمك الله» أهـ.

وعن أبي اسحاق ، عن هانيء ، عن علي رضي الله عنه قال :

لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال :

«أروني ابني، ما سميتموه»؟ .

قلت : حرباً ، قال : بل هو الحسن ، وذكر الحديث .

وأخرج الحافظ عن سودة بنت سرج قالت :

كنت ممن حضر فاطمة حين ضربها المخاض فأتانا رسول الله ﷺ فقال :

«كيف هي؟ كيف هي؟ ابنتي فديتها» .

قلنا : إنها لتجهد .

«قال. فاذا وضعت فلا تحدثني شيئاً حتى تؤذنني

قالت : فلما وضعته سررته ، ولففته في خرقة صفراء ، فجاء رسول الله ﷺ فقال :

«ما فعلت ابنتي فديتها، وما حالها؟ وكيف هي؟».

قلت يا رسول الله : قد وضعت غلاماً ، وأخبرته بما صنعت .

«فقال: لقد عصيتني».

قلت : أعوذ بالله من معصية الله ورسول الله ، سررته يا رسول الله ، ولم أجد من ذلك بداً .

«فقال: إئتني به، فأتيته به فألقى عنه الخرقة الصفراء ولفه في خرقة بيضاء وتفل في فيه، وأرضعه بريقه، ثم قال: ادعي لي عليّاً فدعوته فقال:

ما سمته يا علي؟ فقال سميته جعفراً.

قال: لا، لكنه حسن، وبعده حسين، وأنت يا علي أبو الحسن والحسين».

رواه أبو نعيم في الحلية ورجاله ثقات .

وفي لفظ : وأنت أبو الحسن الخير .

وفي رواية للطبراني ، والإمام أحمد ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن حبان ، والحاكم ، والدولابي ، في كتابه الذرية الطاهرة :

أنه سمى الأول حسناً ، فلما ولد الثاني سماه حسيناً ، فلما ولد الثالث سماه محسناً ، وقال :

إني سميتهم بأسماء ولد هارون : شبر وشبير ومشبر .

وفي رواية قال علي : إني كنت أحب الحرب فهممت أن أسمي به أحد أولادي فسماهم النبي ﷺ .

وعن يحيى بن عيسى التميمي قال : حدثنا الأعشى ، عن سالم بن أبي الجعد قال :

« كنت رجلاً أحب الحرب ، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً ، فسماه رسول الله ﷺ الحسن ، إنني سميت ابني هذين باسم ابني هارون ، شبر وشبير .

فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً ، فسماه الحسين وقال :

إنني سميت ابني هذين باسم ابني هارون ، شبر ، وشبير .

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل : عن محمد بن علي عن أبيه :

أنه سمى ابنه الأكبر حمزة ، وسمى حسيناً بعمه جعفر ، فدعاه النبي ﷺ فقال :

«قد غيرت اسمي ابني هذين فسمى «حسناً وحسيناً»

قال أبو أحمد العسكري :

سماه النبي ﷺ الحسن ، وكناه أبا محمد ، ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية ، فعن المفضل ، قال :

إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين ، قال : فقلت له ، فاللذين باليمن ؟ قال : ذاك حسن ساكن السين ، وحسين بفتح الحاء وكسر السين ، ولا يعرف قبلهما إلا اسم رملة في بلاد ضبة .

وعن عكرمة قال :

لما ولدت فاطمة حسناً أتت النبي ﷺ فسماه حسناً ، فلما ولدت الآخر سماه حسيناً وقال : هذا أحسن من هذا ، فشق له من اسمه . .

وعن عاصم بن عبيد الله ، عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه : أن النبي ﷺ أذن في أذن الحسن بالصلاة حين ولد .

وعن عكرمة أن النبي ﷺ أذن في أذن الحسن بالصلاة حين ولد .

وعن ابن عقيل ، عن علي بن الحسين قال :

لما ولدت فاطمة حسناً قالت : يا رسول الله ، ألا أعق عن ابني بدنة ؟

قال : لا ، ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره فضة على المساكين ، ففعلت .

ثم انه ﷺ عق عنه وذبح كبشاً ، تولى ذلك بنفسه الشريفة ، وقال لفاطمة رضي الله عنها :

«احلقي رأسه وتصدقي بوزن الشعر ذهباً أو فضة» .

ومن وقتها كان هذا العمل سنة مستمرة عند العلماء ، بما فعله النبي ﷺ في حق الحسن بن علي رضي الله عنه وعن والديه .

ورسول الله ﷺ كان يحبه حباً شديداً حتى كان يمص لسانه واعتنقه وداعبه .

جاء رضي الله عنه ورسول الله ﷺ ساجد في الصلاة ، فركب على ظهره ، فيقره على ذلك ، ويطيل السجود من أجله ، وصعد رضي الله عنه الى المنبر مع جده ﷺ .

يقول الحافظ الذهبي : قال أبو بكرة : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ، والحسن بن علي الى جنبه وهو يقول :

«إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» . أخرجه الإمام البخاري .

وثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ ، بينما هو يخطب ، اذ رأى الحسن والحسين مقبلين ، فنزل اليهما فاحتضنهما وأخذهما معه الى المنبر ، وقال : صدق الله :

﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ .

---

(١) الأنفال اية : ٢٨ .

«إني رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم أملك أن نزلت إليهما ثم قال: أنكم لمن روح الله وأنكم لتبجلون وتحببون».

نسبه الشريف

لا أعرف شرفاً غير شرف النسب ، ولا أحسب حسباً غير حسب الفضيلة .

وإمامنا الجليل ، وحليمنا العظيم ، حليم آل البيت ، الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، له من عراقة الأصل ما يفوق به شرف النسب ، ومن طهارة المنبت ما يعلو به حسب الفضيلة .

وما وجدت أصل لفظاً ، ولا أعرق معنى ، ولا أحكم عبارة ، ولا أفصح بياناً ، ولا أظهر وضوحاً ، ولا أكثر دقة ، ولا أعمق تفكيراً ، ولا أشد تثبيتاً ، لبيان نسب الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه . من هذا الحديث النبوي الرائع لفظاً ومعنى ، الذي أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، والطبراني في معجمه ، وابن عساكر في تاريخه ، والحاكم في مستدركه ، على شرط البخاري ومسلم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

صلى رسول الله ﷺ ، صلاة العصر ، فلما كان في الرابعة ، أقبل الحسن والحسين ، حتى ركبا على ظهره ، فلما سلم وضعهما بين يديه ، وأقبل على الحسن فحمله على عاتقه الأيمن ، والحسين على عاتقه الأيسر ، ثم قال :

«أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة؟

ألا أخبركم بخير الناس عماً وعمة؟

ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟

ألا أخبركم بخير الناس أباً وأماً؟ الحسن والحسين.

جدهما رسول الله، وجدتهما خديجة بنت خويلد، وأمهما فاطمة بنت رسول الله، وأبوهما علي بن أبي طالب، وعمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب. وخالهما القاسم بن رسول الله، وخالاتهما: زينب، ورقية، وأم كلثوم، بنات رسول الله.

وجدهما في الجنة، وأبوهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وجدهما في الجنة، وخالاتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة». ١ هـ.

ويعلق الشيخ ابن طلحة رضي الله عنه على هذا بكلام نفيس فيقول :

حصل للحسن وأخيه الحسين رضي الله عنهما ، ما لم يحصل لغيرهما ، فإنهما سبطا رسول الله ﷺ ، وريحانتاه ، وسيدا شباب أهل الجنة .

جدهما رسول الله ﷺ .

وأبوهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأمهما الطاهرة البتول فاطمة بنت الرسول ﷺ .

نسب كان عليه من شمس الضحى نور ، ومن فلق الصبح عمود .

هذا النسب الذي عنده تتضاءل الأنساب ، وجاء بصحبته الأثر في السنة والكتاب ، فهو وأخوه ـ رضي الله عنهما ـ دوحة الفضل والنبوة ، التي طابت فرعاً وأصلاً ، وشعبة الرسالة التي سمت رفعة ونبلاً ، قد اكتنفهما العز والشرف ،

ولازمهما السؤدد فماله عنهما منصرف أهـ .

ويعبر هو رضي الله عنه عن نفسه بنفسه فيقول :

« يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبي ، وأنا ابن الوصي ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن النذير ، وأنا ابن الداعي الى الله بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل الينا ، ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً[1] » .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ، والحافظ ابن كثير ، بسندهما ، عن المدايني قال :

كان عمرو بن العاص ، وجملة من الأشراف ، من أكرم الناس ، فقال معاوية :

من أكرم الناس أباً وأماً ، وجداً وجدة ، وخالاً وخالة ، وعماً وعمة ؟

فقام النعمان بن العجلان ، فأخذ بيد الحسن فقال : هذا .

أبوه علي ، وأمه بنت رسول الله ﷺ ، وجده رسول الله ، وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمته أم هانيء بنت أبي طالب ، وخاله القاسم ، وخالته زينب .

فقال له عمرو : أحب بني هاشم دعاك الى ما عملت ؟

فقال ابن العجلان :

يا ابن العاص : ما عملت ؟ إنه من التمس رضاء مخلوق بسخط الله الخالق حرمه الله أمنيته ، وختم له بالشقاء في آخر عمره :

---

(١) أخرجه الحاكم في باب فضائل الحسن بن علي ، في مستدركه على الصحيحين ، والهيثمي في باب فضائل أهل البيت ، من خطبة الحسن بن علي عندما خطب الناس حين قتل والده علي رضي الله عنهما .

«بنو هاشم أنضر قريش عوداً وأقعدها سلماً ، وأفضلها أحلاماً » أهـ .

وأخرج أبو هاشم الجعفي قال :

فاخر يزيد بن معاوية يوماً الحسن بن علي رضي الله عنه فقال معاوية ليزيد :

فاخرت الحسن ؟ قال : نعم .

قال : لعلك تقول : أن أمك مثل أمه ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

ولعلك تقول : أن جدك خير من جده ، وجده رسول الله ﷺ .

وأما أبوك وأبوه ، فقد تحاكما الى الله ، فحكم الله لأبيه على أبيك . أهـ .

ذكره الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء .

كنيته وألقابه وصفته

كنيته : رضي الله تعالى عنه ، أبو محمد ، لا غير ، كناه به ، النبي ﷺ .

وأما ألقابه فكثيره ، وهي :

التقي ، والزكي ، والطيب ، والسيد ، والسبط ، والرفي ، والولي ، كل ذلك يقال له ، ويطلق عليه .

وأكثر هذه الألقاب شهرة : التقي .

وأعلاها رتبة ، وأولاها به ، ما لقبه به جده سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « السيد » كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في صحيحه ، عن أبي بكر رضي الله عنه قال :

رأيت النبي ﷺ على المنبر ، والحسن بن علي الى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول :

«إن ابني هذا سيد، ولعل الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» .

ويعلق ابن عبد البر في الاستيعاب على هذا بكلام نفيس فيقول :

تواترت الآثار الصحاح عن النبيﷺ ، أنه قال لحسن بن علي :

« إن ابني هذا سيد » .

ولا أسود ممن سماه رسول الله ﷺ سيداً . أهـ .

وناسب هنا أن نقول :

أن هذا يؤكد كذب الحديث القائل : « لا تسيدوني في الصلاة » فإن أصل اللفظة بالواو لا بالياء .

يقول العجلوني في كشف الخفا :

« وأما النقل عن سيد الورى « لا تسيدوني في الصلاة » فكذب مولد مفترى ، والعوام مع إيرادهم له يلحنون فيه فيقولون : لا تسيدوني بالياء ، وإنما اللفظة بالواو .

وقال صاحب المقاصد حديث « لا تسيدوني في الصلاة » لا أصل له .

وقال صاحب أسنى المطالب أيضاً : حديث لاتسيدوني في الصلاة « لا أصل له أيضا » أهـ .

ومن طريف ما يذكر ـ كما أخرج ابن عساكر وغيره ـ :

مر رجل بأهل البصرة فقال : من سيدكم ؟

قالوا الحسن بن علي سيدنا .

فقال الرجل : بم سادكم ؟

فقالوا : احتاج الناس الى عمله ، واستغنى هو عن دنياهم .

فقال الرجل : ما أحسن هذا . أهـ .

وأما صفته : فقد كان رضي الله عنه : ـ كما أخرج أحمد بن محمد بن أيوب المغيري ـ :

« أبيض مشرباً بحمرة ، أدعج العينين ، سهل الخدين ، كث اللحية ، ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، جعد الشعر ، حسن البدن ، يخضب بالسواد مليحاً من أحسن الناس وجهاً »(١) .

أما صفته التي يجب أن تؤثر بالذكر ، وتحوز الإعجاب من أهل الإنصاف والفكر ، أن كان رضي الله عنه ، يشبه جده رسول الله ﷺ خَلقاً وخُلقاً .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه ، عن عقبة بن الحارث قال :

خرجت مع أبي بكر ، رضي الله عنه ، من صلاة العصر ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ، بليال ، وعلي يمشي الى جنبه ، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان ، فاحتمله على رقبته وهو يقول :

بأبي شبيه بالنبي .. ليس شبيهاً بعلي

قال وعلي يضحك . أهـ .

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال :

« رأيت النبي ﷺ ، وكان الحسن يشبهه » .

وذكر ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ، قال : قال ابن الزبير :

« أشبه الناس برسول الله ﷺ ، الحسن بن عليْ ، قد رأيته يأتي النبي ﷺ وهو ساجد فيركب ظهره ، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل .

ويأتي وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر » أهـ .

---

(١) قاله ابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة .

وقال معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنهما :

كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله ﷺ .

وأخرج ابن عساكر في التاريخ ، قال : قال مصعب بن عمير :

تذاكرنا من أشبه الناس بالنبي ﷺ من أهله ؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال :

أنا أحدثكم بأشبه أهله إليه وأحبهم إليه ، الحسن بن علي ، رأيته ﷺ ، وهو يصلي ، فإذا سجد ركب الحسن على رقبته أو قال ظهره ، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل .

ولقد رأيته يجبي وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وكان يقول فيه : إنه ريحانتي من الدنيا ، وإن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

وقال: «اللهم أني أحبه فأحبه وأحب من يحبه».

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن علي رضي الله عنه ، قال :

« الحسن أشبه برسول الله ما بين الصدر الى الرأس .

والحسين أشبه برسول الله ما أسفل من ذلك » .

ورواه الترمذي . .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا قيس بسنده عن علي قال :

« كان الحسن أشبه الناس برسول الله من وجهه الى سرته وكان الحسين أشبه الناس به ما أسفل من ذلك » .

كرمه وجوده رضي الله عنه

صدق التوكل على الله ، يوجب ترك المبالاة بغير الله .

والمخلصون لله تعالى لا يؤثرون شيئا على الله ، ولا يضنون بشيء على الله ، فهم أبداً على أنفسهم لأجل الله .

والله سبحانه وتعالى أجرى سنته ، بألا يخلي البسيطة من أهل لها ، هم الغياث ، وبهم دوام الحق في الظهور .

فهدايتهم بالحق أنهم يدعون الى الحق ، ويدلون على الحق ، ويتحركون بالحق ، ويسكنون للحق بالحق ، وهم قائمون بالحق ، يصرفهم الحق بالحق ، أولئك هم غياث الخلق .

بهم يسقون إذا قحطوا ، ويمطرون إذا أجدبوا ، ويجابون إذا دعوا ، وينصرون إذا استنصروا ، ويمكنون اذا طلبوا .

« رب أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره »[1] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ويعلق المناوي على هذا فيقول : « أي أبر قسمه ، وأوقع مطلوبه إكراماً له ، وصوناً ليمينه عن الحنث لعظم منزلته عنده » أهـ .

ولقد كان من خصائص سنة الله تعالى في الكرم أنه أمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، بالأخذ به ، إذ الخبر ورد بأن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«أكمل المؤمنين إيماناً : أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم»[1] .

وكلما كان الجرم أكبر كان العفو عنه أعظم وأكمل ، وعلى قدر عظم رتبة العبد في الكرم يتوقف العفو عن الأصاغر والخدم .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

وحليمنا السمح الكريم ، وكريمنا الجواد الجليل ، الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، فرع شجر النبوة ، ومصباح زجاجة الرسالة ، ومعدن العلم ، له الحظ الوافر ، في الجود والكرم ، والجانب الأوفر في البذل والعطاء ، والرحبة الواسعة في العفو والسماح .

وما ثبت لهذا الميدان في حقه رضوان الله تعالى عليه ، في بطون الأسفار العريقة بالصحة والإثبات ، يحتاج ذكره الى فصول وأبواب لا يتسع لها المقام ، ونكتفي بذكر نماذج ، لا على سبيل الحصر ، ولكن على سبيل المثال .

منها ما أخرج الراغب الأصبهاني في محاضراته :

« جنى غلام للحسن بن علي رضي الله عنهما ، فأمر الحسن بعقابه ، فقال الغلام : يا مولاي إن الله قد مدح قوماً منهم ، فقال :

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فقال ـ الحسن ـ : خلوا سبيله .

قال : وقد قال : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

---

(١) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

قال : أنت حر لوجه الله ، ولك من المال كذا .

واستعفى رجل من مصعب بن الزبير فعفا عنه .

فقال : اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض ، فأعطاه مائة الف .

فقال الرجل : إني قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات بقوله :

« إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء » .

فقال له مصعب : هذا لك وعلينا أن نعطيه ذلك » أهـ .

ومنها : ما أخرجه ابن خلكان في وفيات الأعيان بسنده قال : قالت عائشة .

إن رجلاً من أهل الشام قال :

دخلت المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فرأيت رجلاً راكباً على بغلة ، لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه ، فمال قلبي اليه فسألت عنه فقيل :

هذا الحسن بن علي بن أبي طالب ، فامتلأ قلبي له بغضاً ، وحسدت عليّاً أن يكون له ابن مثله ، فصرت اليه وقلت له : أأنت ابن علي بن أبي طالب ؟

قال : أنا ابنه .

قلت فعل بك وبأبيك كذا وكذا ـ أسبهما[1] ـ .

فلما انقضى كلامي قال لي : أحسبك غريباً؟

قلت أجل .

قال : مل بنا[2] ، فإن احتجت الى منزل أنزلناك ، أو الى مال آسيناك ، أو الى

---

(١) يعني احد يسب الحسن ويسب أباه . (٢) يعني : تعال معي .

حاجة عاوناك .

قال : فانصرفت عنه وما على الأرض أحب الي منه ، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي » أهـ .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن الحسن بن علي قال :

المغبون لا محمود ولا مأجور .

وكان الحسن يجيز الرجل الواحد بمائة ألف .

وكان رجل جالساً الى جنبه فسمعه يسأل الله عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن فبعث بها اليه[1] أهـ .

وخطب علي رضي الله عنه الناس ثم قال :

إن ابن أخيكم الحسن قد جمع مالاً وهو يريد أن يقسمه بينكم ، فحضر الناس ، فقام الحسن ، فقال :

إنما جمعته للفقراء ، فقام نصف الناس ، ثم كان أول من أخذ منه الأشعث بن قيس أهـ .

وقال ابراهيم بن اسحاق الحربي وقد سألوه عن حديث عباس البقال فقال :

خرجت اليه فأديته درهماً إلا فلساً، فقال لي حدثني حديثاً في السخاء ، فلعل الله أن يشرح صدري فأعمل شيئا .

فقلت له :

عن الحسن بن علي رضيَ الله عنه ، أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة ، فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة ، الى أن شاطره الرغيف .

---

(١) أخرجه أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية .

فقال له الحسن : ما حملك على أن شاطرته فلم تعاقبه فيه بشيء .

فقال : استحت عيناي من عينيه أن أعاقبه .

فقال له : غلام من أنت ؟

قال غلام : أبان بن عثمان .

قال والحائط ؟ قال لأبان.

فقال له الحسن : أقسمت عليك لا برحت حتى أعود اليك ، فمر فاشترى الغلام والحائط وجاء الى الغلام ، فقال له قد اشتريتك ، فقام قائماً ، فقال :

السمع والطاعة لله ، ولرسوله ، ولك يا مولاي .

ثم قال : وقد اشتريت الحائط ، وأنت حر لوجه الله ، والحائط هبة مني اليك .

فقال الغلام : يا مولاي ، قد وهبت الحائط للذي وهبتني له .

فلما سمع العباس ذلك ، قال : حسن والله ، إن لأبي اسحاق دانقاً إلا فلساً أعطه بدانق ما يريد .

فقلت والله لا آخذ الا بدانق إلا فلساً.

وذكر رجل من بني جمح أن رجلاً من أهل الشام ، قدم المدينة فرأى رجلاً شريفاً .

فقال من هذا ؟ قيل له هذا الحسن بن علي .

فقال : والله أحسد علياً أن يكون له ابن مثله ، ثم أتاه ، فقال له الحسن : أراك غريباً فلو استحملتنا حملناك ، وإن استرفدتنا رفدناك ، وإن استعنت بنا أعناك .

قال الرجل : فانصرفت وما في الأرض رجل أحب الي منه .

وقدم المدينة رجل ، وكان يبغض علياً فانقطع ولم يبق معه زاد ولا راحلة ، فشكى حاله الى بعض أهل المدينة فدله على الحسن وقال له :

لا تجد خيراً منه ، فجاءه وشكى اليه أمره ، فأمر له بزاد وراحلة ، فقال الرجل :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

فقيل للحسن : أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة ؟

فقال : أفلا أشتري عرضي منه بذلك ؟

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسند هـ قال :

جاء رجل الى الحسين بن علي فاستعان به على حاجة فوجده معتكفاً فقال له :

لولا اعتكافي ، لخرجت معك فقضيت حاجتك .

ثم خرج من عنده ، فأتى الحسن بن علي فذكر له حاجته ، فخرج معه لحاجته ، فذكر له قول أخيه الحسين ، فقال الحسن :

« لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب الي من اعتكاف شهر » .

وكان في الطواف فقال له رجل وسأله ، أن يذهب معه في حاجة ، فترك الطواف وذهب معه ، فلما ذهب ، خرج اليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه فقال :

يا أبا محمد تركت الطواف وذهبت مع فلان ؟

فقال له الحسن : كيف لا أذهب معه ورسول الله ﷺ قال :

«من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت كتبت له حجة وعمرة ، وإن لم

تقض كتبت له عمرة؟ فقد اكتسبت حجة وعمرة، ورجعت إلى طوافي»[1].

وأخرج ابن سعد عن هارون قال :

ذهبنا الى الحج فدخلنا المدينة فسلما على الحسن وحدثناه بمسيرنا وحالنا ، فلما خرجنا بعث الى كل رجل منا بأربعمائة دينار ، فرجعنا فأخبرناه بيسارنا فقال :

لا تردوا على معروفي ، فلو كنت على غير هذه الحال لكان هذا لكم يسيراً ، إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة فيقول :

«عِبَادِي جَاءُونِي شعثاً، يَتَعَرَّضُونَ لِرحْمَتِي، فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِمُحْسِنِهِمْ، وَشَفَعْتُهُ فِي مَسِيئِهِم وإِذَا كَانَ يَوْمَ الجُمعة فَمِثْلُ ذَلِكَ»[2].

وكانت عند الإمام الحسن ابنة منظور الفزارية ، وامرأة من أسد ، فطلقها ، وبعث الى كل واحدة منهما بعشرة آلاف درهم ، وزقاق من عسل ، وقال لغلامه : احفظ ما يقولان لك .

فقالت الفزارية : بارك الله فيه وجزاه خيراً .

وقالت الأسدية : متاع قليل من حبيب مفارق .

فلما بلغه قولهما راجع الأسدية وترك الفزاريه .

وكانت عائشة الخثعمية عنده فلما قتل علي قالت له :

لتهنك الخلافة ، فقال لقتل علي تظهرين الشماتة ؟ اذهبي فأنت طالق ثلاثا ، فتلفعت بثيابها ، وقعدت حتى انقضت عدتها ، فبعث اليها ببقية بقيت لها من صداقها ، وعشرة آلاف صدقة ، فلما جاءها الرسول قالت :

متاع قليل من حبيب مفارق ، فلما بلغه قولها بكى ثم قال :

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ، وابن عساكر في التاريخ .

(٢) أخرجه ابن عساكر عن ... وابن حجر في الإصابة ، وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي .

لولا أني سمعت جدي أو قال : لولا أن أبي حدثني أنه سمع جدي يقول :

أيما رجل طلق امرأته ثلاثاً عند الإقراء أو ثلاثة مبهمة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره لراجعتها .

رواه البيهقي .

ولما خطب بنت منظور قال له والدها :

والله أني لأنكحك ، فإني لأعلم أنك أكرم العرب بيتاً ، وأكرمهم نسباً .

ولما مات الحسن بكى مروان بن الحكم في جنازته ، فقال له حسين :

أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟

فقال : إني كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا ، وأشار الى الجبل بيده .

وقال عمير بن اسحاق :

ما تكلم عندي أحد كان أحب الي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة ، فإنه كان بين أخيه الحسين وبين عمرو بن عثمان خصومة في أرض ، فعرض الحسين أمراً لم يرضه عمرو ، فقال الحسن : ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط .

وكان بين الحسين وبين مروان كلام فجعل يغلظ له وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقال له الحسن :

ويحك أما علمت أن اليمين للوجه ، والشمال للفرج ، أف لك ، فسكت مروان .

وقيل له أن أبا ذر يقول :

الفقر أحب الي من الغنى ، والسقم أحب الي من الصحة .

فقال : رحم الله ، أبا ذر أما أنا فإني أقول :

من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له .

ويعلق ابن عساكر على هذا فيقول :

وهذا حد الوقوف على الرضا بما يتصرف به القضاء » .

وأخرج ابن خلكان في وفيات الأعيان بسنده قال :

قيل للحسن رضي الله عنه ، لأي شيء نراك لا ترد سائلاً ، وان كنت على فاقة ؟

فقال : أني لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا أستحي أن أكون سائلاً ، وأرد سائلاً ، وإن الله تعالى عودني عادة ، عودني أن يفيض علي ، وعودته أن لا أقبض نعمة على الناس ، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة وأنشد يقول :

اذا ما أتاني سائل قلت مرحباً
بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل
وأفضل أيام الفتى حين يسأل

« وكان جالساً ذات يوم فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيى أن يرده فقال :

ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر ؟

فقال : ماذا تدلني عليه ؟

فقال : اذهب الى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها ، وما سمع من أحد تعزية ، فعزه بهذه التعزية ، يحصل لك بها الخير .

فقال حفظني إياها .

قال : قل له : الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك .

فذهب الى الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة ، وقال :

بالله عليك ، أكلامك هذا ؟

قال : لا بل كلام الحسن بن علي .

فقال : صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح ، وأمر له بجائزة اخرى[1] .

والكرم غريزة مؤصلة في الإمام الحسن رضي الله عنه ، لا تنفك عنه ، ولا تنقطع منه ، والجود سجية وجدت مع وجوده لا تبرح عنه لحظة ولا تتخلى عنه آوانه .

أخرج أبو نعيم في حليته بسنده :

أن الحسن بن علي رضي الله عنه ، خرج عن ماله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات .

وجاءه رجل يشكو اليه ما وصلت اليه حالته ، من قلة ذات يده ، وكان مثرياً فأعطاه وقال :

ما هذا حق سؤالك ، إن حالك يعظم لدى معرفتي بما يجب لك ، يكبر علي ، ويدي تعجز عن نيلك ما أنت أهله ، والكثير في ذات الله قليل ، وما في ملكي وفاء لشكرك ، فإن قبلت الميسور ، ورفعت عني مؤونة الاحتمال والاهتمام لما أتكلف ، بذلك فعلت .

---

(١) أخرج هذه الواقعة ابن خلكان في وفيات الأعيان ، وابن عساكر ، وابن عبد البر .

فقال الرجل : يا ابن بنت رسول الله ، أقبل القليل ، واشكر على العطية ، واعذر عن المنع .

فأحضر الحسن وكيله وحاسبه ، وقال له : هات الفاضل ؟ .

فأحضر وكيله خمسين ألف درهم .

فقال له الحسن رضي الله عنه : ما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك ؟

قال : هي عندي .

قال أحضرها ، فأحضرها ، فدفعها والخمسين الف درهم الى الرجل واعتذر له .

ولقد كان من كريم جوده ، وعفو حلمه ، رضي الله عنه ، أن مروان أرسل اليه يوماً وسبه ، فدعا الله تعالى له ، وفوض الأمر فيه اليه سبحانه .

أخرج ابن سعد عن عمير بن اسحاق قال :

سب مروان الإمام الحسن رضي الله عنه ـ وكان عاملاً على المدينة ـ وسب علياً ، في كل جمعة على المنبر ، فقال الحسن لرسوله :

ارجع اليه وقل له : إني والله لا أمحو عنك شيئاً ، بأن أرد عليك ما سببت ، ولكن موعدي وموعدك الله .

فإن كنت صادقاً : فجزاك الله خيراً بصدقك ، وان كنت كاذباً ، فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً .

ومن هذا القبيل ، ما رواه فضيل بن مرزوق ، قال مالك بن ضمرة للحسن :

« السلام عليك يا مذل المؤمنين » .

فقال رضي الله عنه : لا ، ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك »[1] .

وازداد جوده ، واشتد تواضعه ، حتى كان منه ما كان من تواضع جم ، وجود سخي ، كما ذكر ذلك جماعة من العلماء في تصانيفهم .

أخرج اليافعي في مرآة الجنان :

«« أن الإمام الحسن رضي الله عنه ، مر بصبيان معهم كسر خبز ، فاستضافوه ، فنزل من فرسه ، فأكل معهم ، ثم حملهم الى منزله ، وأطعمهم ، وكساهم فقال :

« اليد لهم ، لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ، وأنا نجد أكثر منه » .

وسأله رضي الله عنه إنسان ، فأعطاه خمسين الف درهم ، وخمسمائة دينار وقال له :

إيت بجمال تحمل لك ، فأتى بجمال فأعطاه طيلسانه وقال :

« يكون كراء الجمال من قبلي »[2] .

وسمت روحه الطيبة الطاهرة ، وأفعم قلبه الرحيم العطف ، حتى كان إذا اشترى من أحد حائطاً ، ثم افتقر البائع ، يرد عليه الحائط ، ويردفه بالثمن معه ، وما كان يعطي لأحد عطية إلا شفعها بمثلها ، وما قال لا قطلسائل رضي الله عنه[3] .

ومن طريف أخبار كرمه وجوده وحلمه ، ما ذكره أبو العباس المبرد فقال :

« إن مروان بن الحكم قال يوماً : إني مشغوف ببغلة الحسن ، بن علي ، فقال له ابن أبي عتيق :

---

(١) أخرجه وأقره الذهبي في سير أعلام النبلاء .

(٢) أنظر.مرآة الجنان لابن أسعد اليافعي .

(٣) أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، ومرآة الجنان لابن أسعد اليافعي ، والاستيعاب لابن عبد البر .

إن دفعتها اليك اتقضي لي ثلاثين حاجة ؟

قال : نعم .

قال : فإذا اجتمع الناس عندك العشية فأني آخذ مآثر قريش ، ثم أمسك عن الحسن ، فلمني على ذلك ، فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض في أولية قريش .

فقال له مروان : ألا تذكر أولية أبي محمد ، وله في هذا ما ليس لأحد ؟

قال : إنما كنا في ذكر الأشراف ، ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد ، فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟

قال : نعم ، البلغة ، فنزل عنها ودفعها اليه اهـ .

وبعد : فأكرم الوفاء ما كان عند الشدة ، وآلم الغدر ما كان عند الثقة .

وحليم آل البيت الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، كان للإخوان وصولاً ، وللأموال بذولاً ، والوفاء كان به كفيلاً ، رضوان الله تعالى عليه .

مكانته العلمية

إن الذي قدر على إخراج الماء من الصخـرة الصماء ، قادر على الإرواء بغـير ماء ، ولكن لإظهار أثر المعجزة ، وإيصال محل الاستغاثة ، أراد الحق سبحانـه أن يكون كل قوم جارياً على سنة ، ملازماً لحده ، غير مزاحم لصاحبه ، فأفـرد لكل سبطة علامة يعرفـون بها مشربهم ، فهؤلاء لا يردون مشرب الآخرين ،والآخرون لا يردون مشرب الأولين.

وحين كفاهم ما طلبوا أمرهم بالشكر ، وحفظ الأمر ، وترك اختيار الوزر .

والمناهل مختلفة ، والمشارب متفاوتة ، وكل يرد مشربه .

فمشرب عذب فرات سائغ شرابه ، ومشرب ملح أجاج يمج الذوق شرابه ، ومشرب صاف زلال ، ومشرب رتق أو شال ، وسائق كل قوم يقودهم ، ورائد كل طائفة يسوقهم .

فالنفوس : ترد مناهل المنى والشهوات .

والقلوب : ترد مشارب التقوى والطاعات .

والأرواح : ترد مناهل الحقائق بالاختطاف عن الكون والمرسومات ..

ثم عن الإحساس والصفات ، ثم بالاستهلاك في حقيقة الوجود والذات .

وعلامة سبطسيدنا رسول الله ﷺ ، الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، التي يعرف بها مشربه ، أنه :

فرع شجرة النبوة ، وعضو أهل بيت الرسالة ، وغصن أهل بيت الرحمة ، ونقطة معدن العلم .

ولا خفاء على من مارس شيئا من العلم أو خص بأدنى لمحة من الفهم ، تعظيم قدر توجيه نبينا ﷺ ، لإمامنا الحسن بن علي ، وخصوصه صلوات الله وسلامه عليه إياه بفضائل ، ومحاسن ، ومناقب ، لا تنضبط لزمام ، وتنويهه بذلك ﷺ ، واختصاصه بما تكل عنه الألسنة والأقلام .

وتوجيه سيدنا رسول الله ﷺ ، لإمامنا الحسن ، كان له الفضل والصدارة ، في تهيئته رضي الله عنه ، الى ما كان عليه من غزارة علمه ، ودلائل حكمه ، وحسن أقواله ، وفصاحة لسانه ، وبلاغة حنانه ، وحسن مناظراته ، وبراعة استهلاله ، وإيجاز خطبه ، ودقة كلامه .

فتوجيهه صلوات الله وسلامه عليه ، له ، يعد بحق : أصل فرعه ، وعنصر ينابيعه ، ونقطة دائرته ، الذي منه انبعث علمه ومعرفته ، وتفرع منه ثقوب رأيه ، وجودة فطنته ، وإصابة فكره ، وصدق ظنه ، ونظره للعواقب ، ومصالح النفس ، ومجاهدة الشهوة ، وحسن السياسة ، ودقة التدبير ، واقتناء الفضائل ، وتجنب الرذائل .

والناظر في مكانة إمامنا الحسن العلمية ، يلمح بداهة ، اتسام سيدنا الحسن ، بفصيح القول ، وبليغ العبارة ، وحسن المنطق ، وحضور البديهة ، وقوة الحجة ، ووضوح البرهان ، وفي كلامه وحكمه ، وخطبه ـ كما سيأتي ـ يؤكد ذلك

ويقويه ، وما ذلك إلا لما آثره به جده ﷺ ، من فضل وحب ، وتوجيه وإرشاد .

روى رضي الله عنه الحديث عن جده رسول الله ﷺ ، وأبيه علي رضي الله عنه ، وأخيه الحسين ، وخاله هند بن أبي هالة .

وروى عنه :

ابنه الحسن بن الحسن ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، والشعبي ، وأبو الحوراء ، ربيعة بن شيبان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله ، وأبو جعفر ، ابنا علي بن الحسن ، وجبير بن نفير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومحمد بن سيرين ، وأبو مجلز : لاحق بن حميد ، وهبيرة بن يريم ، وسيفان بن الليل وجماعة غيرهم .

ومما رواه عن جده ﷺ ما يلي :

أخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني بسنده الى أبي الحوراء أنه قال :

قال الحسن بن علي :

علمني رسول الله ﷺ قنوت الوتر :

« رب اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت »[1] .

ويعلق على ذلك الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة فيقول :

إن الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، روى عن النبي ﷺ ، أحاديث حفظها عنه ، منها في السنن الأربعة قال :

علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر . . . الحديث.

ومنها عن أبي الحوراء بالمهملة والراء ، قلت للحسن :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، مسند الحسن بن علي رضي الله عنه .

ما تذكر من رسول الله ﷺ ؟

قال أذكر أني أخذت تمرة من تمر الصدقة ، فجعلتها في في ، فنزعها رسول الله ، ﷺ بلعابها ، فجعلها في التمر ،

فقيل يا رسول الله ، وما كان عليك من هذه التمرة لهذا الصبي ؟

قال : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة »[1] أهـ .

وهذه القصة أخرجها أيضاً أصحاب الصحاح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه » أهـ .

ومنها كان يقول ﷺ - كما أخرج الإمام أحمد ، والنسائي - :

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة» .

« وعقلت عنه ، صلوات الله وسلامه عليه ، الصلوات الخمس » .

وكان يعلمنا هذا الدعاء :

«اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما اعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت» .

قال الإمام أحمد : قال شعبه ، وأظنه قال أيضاً: تباركت ربنا وتعاليت .

قال شعبة وقد حدثني من سمع هذا منه ، ثم إني سمعته حدث بهذا الحديث مخرجه الى المهدي بعد موت أبيه فلم يشك في : « تباركت ربنا وتعاليت » فقلت لشعبة : إنك تشك فيه ؟ قال ليس فيه شك» انتهى .

ومن الأحاديث الصحيحة التي سمعها مشافهة من جده رسول الله ﷺ :

---

[1] الإمام أحمد في مسنده ، وابن ماجه في سننه ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائي .

عن سفيان الثوري بسنده عن عمير قال : سمعت الحسن بن علي يقول :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«من صلى صلاة فجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس، كان له حجاباً من النار».

ويتلألأ ضياء الحق ، وينتشر عبير الصدق ، ويغمر فيض النبوة ، ويعم نور الرسالة ، حفيد رسول الله ﷺ ، البار ، الحسن بن علي رضي الله عنه ، لكيلا يبقى في قلبه رضي الله عنه ، شيء لغير الحق سبحانه ، ولا في اعتماده في تصريف الأمور على أحد سوى الله سبحانه وتعالى .

أخرج الحافظ ابن كثير ، وابن عساكر ، بسندهما عن عبد الله بن بريدة أنه قال .

قدم الحسن بن علي على معاوية فقال :

لأجزينك بجائزة ما أجزت بها أحداً قبلك ولا أجيزها أحداً بعدك ، فأعطاه أربعمائة ألف درهم .

وأخرج ابن عساكر قال : قال المبرد :

إن الحسن كان يفد كل سنة على معاوية فيصله بمائة الف درهم ، فقعد سنة عنه ، ولم يبعث اليه معاوية بشيء فهم أن يكتب اليه ، فرأى النبي ﷺ في منامه ، كأنه يقول له .

يا حسن أتكتب الى مخلوق تسأله حاجتك ، وتدع أن تسأل ربك ؟

قال فما أصنع يا رسول الله وقد كثر ديني ؟ قال قل : اللهم إني أسألك من كل أمر ضعفت عنه حيلتي ، ولم تنته اليه رغبتي ، ولم يخطر ببالي ، ولم يبلغه أملي ، ولم يجر على [illegible] من اليقين الذي [illegible] من المخلوقين ، الأولين المهاجرين

والاخرين ، إلا خصصتني به يا أرحم الراحمين .

قال الحسن : فانتبهت وقد حفظت الدعاء فكنت أدعو به فلم يلبث معاوية أن ذكرني .

فقيل له : لم يقدم السنة فأمر لي بمائة الف درهم .

وأخرج البيهقي وزاد في أوله :

اللهم اقذف في قلبي رجاءك ، واقطع رجائي عمن سواك ، حتى لا أرجو أحداً غيرك .

وفيه أنه قال :

فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إليَّ معاوية بألف ألف ، وخمسمائة ألف .

فقلت : الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من دعاه .

فرأيت النبيﷺ في المنام فقال :

يا حسن ، كيف أنت ؟ فقلت : بخير ، وحدثته حديثي .

فقالﷺ :

«يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق» أهـ.

وأخرج ابن عساكر رضي الله عنه بسنده :

أن الحسن بن علي رضي الله عنه كان يجلس في مسجد رسول اللهﷺ ، ويجتمع الناس حوله ، ويتكلم بما يشفى غليل السائلين ، ويقطع حجج القائلين .

ومن ذلك ما رواه الواحدي في تفسيره :

أن رجلاً قال : دخلت مسجد المدينة ، فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله ،

ﷺ ، والناس حوله ،

فقلت له : أخبرني عن شاهد ومشهود .

فقال : نعم . أما الشاهد فيوم الجمعة ، وأما المشهود فيوم النحر ، فجزته الى غلام كأن وجهه الدنيار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت له :

أخبرني عن شاهد ومشهود ؟

فقال : نعم ، أما الشاهد ، فمحمد ﷺ ، وأما المشهود فيوم القيامة ، أما سمعته تعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ؟ ﴾

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ؟ ﴾[1] .

فسألت عن الأول فقالوا : ابن عباس ، وسألت عن الثاني ، فقالوا : الحسن بن علي رضي الله عنهما » .

وخاطب الحسن بن علي رضي الله عنه ، جعيد بن همدان فقال له :

يا جعيد : الناس أربعة :

فمنهم من لا خلق له وليس له خلاق .

ومنهم من له خلق وليس له خلاق ،

ومنهم من ليس له خلق ولا خلاق ، فذاك أشر الناس .

ومنهم من له خلق وخلاق فذلك أفضل الناس » اهـ .

وقال : ذات يوم لأصحابه :

---

(١) سورة هود ١٠٣ .

إني أخبركم عن أخ لي ، كان من أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظمه في عيني ، صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد،

وكان خارجاً من سلطان بطنه بوجه ، فلا يستجد له عقله ، ولا رأيه .

وكان خارجاً من سلطان الجهلة ، فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة ، كان لا يسخط ولا يتبرم .

كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم .

كان إذا غلب عليه الكلام يغلب عليه الصمت .

كان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذ القائلين:

كان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مراء ، ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضياً .

كان يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً.

كان لا يغفل عن أخوانه ولا يتخصص بشيء دونهم .

كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله ، .

كان إذا ابتدأه أمران لا يدري أيهما أقرب الى الحق ، نظر فيما هو أقرب الى هواه فخالفه .

ومن كلامه العميق المعنى ، الذي يدل على سمو مكانته العلمية ، ما ذكره الراغب الأصفهاني فقال :

قال الحسن بن علي رضي الله عنه :

«إن الله دعا كل قوم إلى الجنة، فقال للعرب يشوقهم:

« ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً » لما كان أحب الأشياء إليهم ذلك .

وقال في الفرس :

« يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير » لما كان أحب الأشياء إليهم ذلك .

وذكر الله تعالى درجة الخائفين ، ولم يذكر درجة المحبين ، لأن القلوب لا تحتمل ذلك .

وأمسك عن ثواب النبيين وأظهر لنا ثواب المتقين فقال في النبيين :

﴿ وأذْكُر عَبْدَنا داوُدَ ذا الأيْدِ إنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[1] ..

وأظهر ثواب المتقين فقال :

﴿ وإنَّ لِلمُتَقِين لحُسْنَ مآبٍ »[2]

ومثال ذلك أن الشيء اذا عظم ثوابه لم يذكر مفصلاً ، كصوم رمضان والزكاة .

وقال : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نفْسٌ مَا أُخْفِيَ مِن لهم مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ ﴾[3].

وقال ولدينا مزيد .

وقال النبي ﷺ :

«فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» .

وذكر الثراب في إماطة الأذى عن الطريق وعيادة المريض ونحو ذلك أهـ .

ومن نصيح قوله ، وبليغ معناه ، قوله رضي الله عنه :

---

(١) ص ، آية ١٧ .

(٢) ص ، ٤٩ .

(٣) السجدة ، آية ١٧ .

» إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة ، يقول : إني أحسن الظن بربي ، وكذب : لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل ، ثم تلا :

« وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » .

وقال رضي الله عنه :

قصم ظهري : عالم لا زهد معه ، وزاهد لا علم معه .

هذا يدعو الى جهله بزهده ، وهذا ينفر عن علمه بحرصه .

وقال رضي الله عنه :

أدركت قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون :

« من عمل بغير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلحه » اهـ .

مكانته عند جده ﷺ

لا رتبة فوق رتبة النبوة ، ولا درجة أعلى من درجة الرسالة .

والله سبحانه وتعالى أجرى سنته ألا يخص بأفضاله ، وجميل صنعه وإقباله ، إلا من يسمو إليه طرفه بالإجلال ، وألا يوضح له قدره بين الإضراب والإشكال .

ولكن ليس الأمر كما تذهب إليه الأوهام ، ولا كما يعتقد فيه الأنام ، بل الجواهر مستورة في معادنها ، وقيمة المحال بساكنيها .

فمن صبر على مقساة الذل في الله تعالى ، وضع الله على رأسه قلنسوة العرفان ، فهو العزيز سبحانه ، الذي لا يشمت بأوليائه أعداءهم ولا يضيع من جميل عهده جزاءهم .

فهم الذين سبقت لهم منه العناية ، وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير تحريف ولا تحويل ، وأدركتهم الرحمة السابقة ، فلم تتطرق إليهم مفاجأة تغيير ولا خفى تبديل .

وسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، من الذين سبقت لهم من الله العناية ، واختصهم بالولاية ، فالتزموا بالحق للحق ، فأدركتهم رعاية الحق ، حتى أوضح الله

قدرهم بين الأشكال والألوان ، ووضع على رؤوسهم قلنسوة الهداية والعرفان ، فأحبهم صلوات الله وسلامه عليه ، لحبهم لله تعالى ، وآثرهم بالترغيب فيهم ، والحث عليهم ، لقربهم منه سبحانه .

ولقد توالت آيات الله تعالى ، على إمامنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، وأسبغ الله نعمه عليه ، حتى أفعم قلب رسول الله ﷺ بحبه ، وأمر بحبه ، وحث على حبه ، حتى جاء ذلك واضحاً في الصحيح من السنة :

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي :

«اللهم إني أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه»[١] .

ويتسامى سيد الخلق ﷺ في تواضعه المتواضع ، حتى جاء الحسن بن علي ، فصعد على ظهره وهو ساجد صلوات الله وسلامه عليه فلم ينزله حتى نزل :

عن الزبير رضي الله عنه قال :

لقد رأيت رسول الله ﷺ ساجداً حتى جاء الحسن بن علي ، فصعد على ظهره فما أنزله حتى كان هو الذي نزل ، وإن كان ليفرج له رجليه فيدخل من ذا الجانب ، ويخرج من ذا الجانب[٢] .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه ، فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والطبراني في المعجم الكبير ، وأبو نعيم في الحلية قال :

إن رسول الله ﷺ كان يصلي ، فإذا سجد وثب الحسن بن علي رضي الله عنه ، على ظهره وعلى عنقه ، فرفع رسول الله ﷺ رفعاً رفيقاً لئلا يصرع ، قالوا : يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعته بأحد؟ .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ، والبزار ، وأبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .
(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ورجاله ثقات .

قال :

«إنه ريحانتي من الدنيا، وأن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

وأخرج الشيخان عن البراء رضي الله عنه قال :

رأيت رسول الله ﷺ ، والحسن على عاتقه وهو يقول :

«اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»(٢).

فما كان أحد أحب إليّ من الحسن بعد أن قال رسول الله ﷺ ما قال . اهـ .

ويتفاعل سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه تفاعل الصادق في حبه لآل البيت فيقول :

« لا أزال أحب هذا الرجل ـ يعنى الحسن بن علي ـ بعد ما رأيت رسول الله ﷺ ، يصنع به ما يصنع قال :

رأيت الحسن في حجر رسول الله ، ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ ، والنبي ﷺ يدخل لسانه في فيه ، ثم يقول :

«اللهم إني أحبه»(٣).

وأخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيبه قال : قال زهير بن الأقمر .

بينما الحسن بن علي يخطب بعد ما قتل علي ، إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ ، واضعه في حبوته ويقول :

---

(١) ورجاله موثقون .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وأقره الذهبي في تلخيصه .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، والطبراني في المعجم الكبير ، والحاكم في المستدرك على شرط البخاري ومسلم .

«من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب».

ولولا عزمة رسول الله ﷺ، ما حدثتكم[1].

وأخرج الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ، عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي ، عن معاوية قال :

« رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه ، أو شفته ، يعني الحسن وأنه لمن يعذب لسان أو شفتان مصفهما رسول الله ﷺ » اهـ .

وأخرج ابن عساكر ، وابن أبي خيثمة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت :

إن النبي ﷺ كان يأخذ حسناً فيضمه اليه ثم يقول :

«اللهم إن هذا ابني وأنا أحبه، فأحبه وأحب من يحبه».

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب قال : قال الامام أحمد في مسنده :

حدثنا هاشم بن القاسم بسنده ، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ ، يصلي بالناس ، وكان الحسن بن علي ، يثب على ظهره اذا سجد ، ففعل ذلك غير مرة ، قالوا له :

إنك لتفعل بهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد ؟

قال :

«إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين».

قال : فلما ولي لم يهرق في خلافته محجمة من دم » أهـ .

ويعظم حلم سيدنا رسول الله ﷺ ، ويتضاعف حنانه ، حتى يكره ﷺ أن

---

(١) اقره الذهبي .

يعجل نزول الحسن بن علي رضي الله عنه ، عن ظهره ﷺ .

أخرج النسائي بسنده عن عبد الله بن شداد عن أبيه رضي الله عنهما .

خرج علينا رسول الله ﷺ لصلاة العشاء وهو حامل الحسن رضي الله عنه فتقدم النبي ﷺ ، للصلاة فوضعه ثم كبر وصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة فأطالها .

قال فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ ، وهو ساجد فرجعت الى سجودي فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال الناس :

«يارسول الله سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، وأنه يوحى اليك .

فقال ﷺ :

كل ذلك لم يكن ، ولكني ارتحلني الحسن فكرهت أن أعجله حتى ينـزل » أهـ .

وأخرج الحافظ ابن كثير قال :

قال أحمد : حدثنا أبو النصر بسنده عن نافع بن جبير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

كنت مع النبي ﷺ في سوق من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت معه ، فجاء الى فناء فاطمة فقال :

«أي لكع أي لكع فلم يجبه أحد، فانصرف وانصرفت معه، إلى فناء فقعد، قال: فجاء الحسن بن علي».

قال أبو هريرة : ظننا أن أمه حبسته لتجعل في عنقه السخاب ، فلما دخل التزمه رسول الله ﷺ والتزم هو رسول الله ، ثم قال :

«إني أحبه وأحب من يحبه» ثلاث مرات.

وأخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله به .

وقال أحمد حدثنا حماد الخياط بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

خرج رسول الله ﷺ الى سوق بني قينقاع متكئاً على يدي فطاف فيها ، ثم رجع فاحتبى في المسجد وقال :

أين لكاع[1] ؟ أدعوا لي لكاع .

فجاء الحسن بن علي رضي الله عنه فاشتد حتى وثب في حبوته فادخل فمه في فمه ثم قال :

« اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » ثلاثاً .

قال أبو هريرة رضي الله عنه :

ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني ، أو قال : دمعت عيني ، أو بكيت .

وهذا على شرط مسلم .

وأخرج الترمذي مرفوعاً الى ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كان النبي ﷺ يصلي بنا ، فجاء الحسن رضي الله عنه وركبه ، فقال : نعم المركب ركبت يا غلام ؟

فقال النبي ﷺ :

«ونعم الراكب هو».

وأخرج الحافظ ابن حجر في الإصابة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

سمعت أذني هاتان وأبصرت عيني هاتان من رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه

---

(١) يقول صاحب النهاية « لفظ يطلق على الصغير ، ومنه الحديث أنه عليه السلام جاء يطلب الحسن بن علي قال : أثم لكع » فان أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل .

جميعاً حسناً أو حسيناً وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ وهو يقول :

حزقة حزقة ، أرق عين بقة .

فيرقى الغلام ، فيضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ، ثم قال :

افتح فاك ثم قبله ، ثم قال :

« اللهم أحبه فإني أحبه »[1] .

وأخرج الحافظ ابن كثير بسنده عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ :

«من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسن بن علي».

وذكر ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية ، عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال :

إن رسول الله ﷺ ، صلى بهم إحدى صلاتي العشى ، فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلما سلم قال الناس له في ذلك ، قال :

«إن ابني هذا ـ يعني الحسن ـ ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

وقال أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي عن عمير بن اسحاق ، قال :

كنت مع الحسن بن علي فلقينا أبو هريرة رضي الله عنه فقال :

أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله يقبل ، فأخذ ، بقميصه ، قال فقبل سرته » تفرد به أحمد .

وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه .

وكذلك عمر بن الخطاب ، روى الواقدي عن موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه :

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

أن عمر حينما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف .

وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما .

وما جاء في حقه رضي الله عنه من قبل جده رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فضله مشهود ، وأصله مقصود ، فقد جمع له ﷺ بين أشتات الإشارات النبوية . ودقيق العبارات والأعمال الطاهرة ، الزكية ، مما اتفق عليه أهل الصحاح ، على ايراده وتطابقوا على صحة روايته واسناده .

وكما تضافرت الأحاديث الصحيحة في بيان تقديره صلوات الله وسلامه عليه لإمامنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، فإنها تضافرت كذلك في بيان تقديره ﷺ ، للحسن والحسين معاً ، رضي الله عنهما ، فقد أخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني رضي الله عنه في كتابه النفيس تهذيب التهذيب بسنده عن جعفر بن محمد ، عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن جده :

أن رسول الله ﷺ ، أخذ بيد الحسن والحسين ، فقال :

«من أحبني وأحب هذين وأباهما وامهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة» (١) .

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب ، والترمذي في سننه ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» .

[illegible] ﷺ :

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ، فيقول :

---

(١) أخرجه الترمذي .

إن الحسن والحسين وإن ماتا شيخين فهما سيدا كل من مات شاباً ودخل الجنة ، وكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين ، ولا يلزم كون السيد في سن من يسودهم »[1] .

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن النبيﷺ قال :

«اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما» .

وأخرج الترمذي عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

دخلت على رسول اللهﷺ ، وهو حامل الحسن والحسين على ظهره ، وهو يمشي بهما على أربع ، فقلت: نعم الجمل جملكما ؟ فقال : ونعم العدلان هما . على شرط مسلم .

وعن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال :

« خرج علينا رسول الله ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى الينا ، فقال له رجل : يا رسول الله إنك لتحبهما .

فقال :

«من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني» رواه الإمام أحمد.

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال :

كان رسول اللهﷺ ، يصلي فجاء الحسن والحسين يتوثبان على ظهره اذا سجد فأراد الناس جرهما فلما سلم قال للناس :

﴿ هذان ابناي ، من أحبهما فقد أحبني ﴾ .

رواه النسائي في حديث عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح .

---

(١) بذيل تتمة المختصر للإمام النووي .

رواه النسائي في حديث عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح .

وعن يعلى بن مرة قال : « جاء الحسن والحسين يسعيان الى رسول الله فجاء أحدهما قبل الآخر ، فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه الى إبطه ، ثم جاء الآخر فجعل يده الى الأخرى في رقبته ثم ضمه الى إبطه ، وقبل هذا ، ثم قال :

«اللهم إني أحبهما فأحبهما، ثم قال:
أيها الناس إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة».

وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي خيثم عن محمد بن الاسود بن خلف عن أبيه أن رسول الله أخذ حسناً فقبله ، ثم أقبل عليهم فقال : إن الولد مبخلة مجبنة.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :

« كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل رسول الله اليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر ، ثم قال :

﴿ صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ .

«رأيت هذين الصبيين فلم ،ثم أخذ في خطبته»(١)

وهذا قليل من كثير من الأقوال التي سمعها كل من شملته عناية الله تعالى ، وناله لطفه بمجالسة النبي ﷺ من الصحابة ، فقد أحسوا جميعاً بتعطفه على أهل بيته ، لأنه كان يذكرهم جميعاً وأفراداً ، وينشر ذكرهم ويذيع فضلهم ، بل لقد شعر أصحابه رضوان الله عليهم بأن ذكرهم يدخل على نفسه الغبطة ، فسأله بعض الجلساء يوماً :

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه من حديث الحسين بن واقد .

أي أهلك أحب إليك ؟

فأجابه : الحسن والحسين ، من أحبني وأحبهما وأباهما وأمهما كان معي في الجنة .

وقال صلوات الله وسلامه عليه مرة :

«أدع ابني؟ فأتي له بالحسن رضي الله عنه، وهو يشتد حتى وقع في حجره فاحتضنه شغفاً وفتح فمه فأدخل فمه فيه وقال:

اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، وليبلغ الشاهد الغائب». .

ولقد كان من أعظم ما آثره به جده ﷺ، أن رآه رضي الله عنه يوماً في منامه، فشكا إليه حاله قائلاً:

كيف أصنع يا رسول الله؟ فقال له ﷺ، قل:

«اللهم: اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمّن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك».

«اللهم ما ضعفت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، و[illegible] إليه رغبتي، و[illegible] مسألتي، ولم يجر على لساني، مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين، من [illegible] فخصني به، يا أرحم الراحمين. .».

قال: فوالله ما أنجحت فيه أسبوعاً حتى [illegible]، وأزال همي، وأقال عثرتي. .

فقلت: الحمد لله الذي [illegible]، ولا يخيب من دعاه، فرأيت [illegible] في المنام فقال:

يا حسن كيف أنت؟

فقلت: بخير يا رسول الله، [illegible]. فقال: يا بني هكذا [illegible] الخالق ولم يرج المخلوق [illegible]

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمدنا بمدده ويسعدنا بمحبته وأن يذيقنا كأس شراب مودته ومودة جده صلى الله عليه وآل وصحبه وأزواجه وذريته وأهل بيته أجمعين .

بين يدي والده رضي الله عنه

يضاف العبد إلى ما كان الغالب عليه ذكره ، والأ [illegible]

فصاحب الدنيا من [illegible]

والساعون لها ، والعاملون لنيلها [illegible] قال تعالى [illegible] :

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ [illegible]

وهذه الأحوال ـ وإن عظمت وجلت منهم بنفسها ـ فهي بالإضافة إلى أحوال السادة والأكابر ، تتقاصر ، قال ﷺ :

«أكثر أهل الجنة البله» .

« والأبله ـ كما جاء في اللسان ـ من تغلب عليه سلامة الصدر ، وحسن الظن بالناس ، لأنه يغفل أمر دنياه ، ويقبل على آخرته ، ويشغل نفسه بها ، قال ﷺ :

«أكثر أهل الجنة البله» .

[illegible]

(1) [illegible]

ومن كان في الدنيا عن الدنيا حراً ، فلا يبعد أن يكون في الجنة عن الجنة حراً .

﴿ واللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

ومهجور الحق لا يصله أحد ، ومردود الحق لا يقبله أحد ، والذي قصمته المشيئة لا تنجع فيه النصيحة .

والحق سبحانه وتعالى اذا أجمل أكمل ، واذا شفى كفى ، واذا وافى أوفى .

والعلماء مطالبون بنشر دلائل العلم ، والأولياء مأمورون بحفظ ودائع السر ، فإن كتم هؤلاء براهين العلوم ألجموا بلجام من النار ، وان أظهر هؤلاء شظية من السر ، عوجلوا ببعاد الأسرار ، وسلب الأنوار ، ولكل حد ، وعلى كل أمر قطيعة .

وسيدنا الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، كما نهل من بحر جده رحيقاً صافياً ، فإنه نهل كذلك من معين والده فراتاً عذباً سائغاً، حتى نشأ رضي الله عنه ، وهو بين أحضان جده يكرع وينهل ، وبين يدي والده يرتشف ويرتوي ، حتى أصبح وكأنه يلهم عن وحي ، ويغترف من بحر .

وعلى سبيل المثال نذكر نموذجاً حيّاً رائعاً من النماذج التي رباه والده عليهما ، وهي في جملتها تبين التوجيه الأبوي الصادق ، والإرشاد الفطري السليم .

وهذا النموذج الذي آثرناه بالاختيار ، هو أحد كتبه الذي وجهه سيدنا الإمام علي رضي الله عنه الى ابنه الحسن بن علي رضي الله عنه ، وهاك نصه :

« من الوالد الفان ، المقر للزمان ، المدبر المعمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الظاعن عنها غداً . .

الى المولود المؤمل مالا[1] يدرك ، السالك سبيل من قد هلك .

---

(١) يؤمل البقاء في الدنيا وهذا لا يدركه أحد .

غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب[1] ، وعبد الدنيا وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات وخليفة الأموات .

أما بعد : فإن فيما تبينته من إدبار الدنيا عني ، وجموح الدهر علي[2] ، وإقبال الآخرة إلي ، ما يزعني عن ذكر من سواي ، والاهتمام بما ورائي ، غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي ، فصدقني[3] رأيي ، وصرفني عن هواي ، وصرح لي محض أمري ، فأفضى بي الى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب .

وجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت اليك كتابي مستظهراً[4] به ، إن أنا بقيت لك أو فنيت .

فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ، إن أنت أخذت به .

أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالي والأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين ، وسر في ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا ، وعما انتقلوا ، وأين حلوا ونزلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم . فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لم تكلف ، وأمسك عن طريق اذا خفت ضلالته ، فان الكف

---

(١) أي هدفها التي ترمي اليه .

(٢) أي تغلبه واستقصاؤه .

(٣) صدقني رأيي : أي كان على ما كنت عليه .

(٤) أي مستعبنا بما أكتب اليك .

عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال .

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين(1) من فعله بجهدك ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه في الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر في الحق ، وألجيء نفسك في الأمور كلها الى إلهك ، فإنك تلجئها الى كهف حريز(2) ، مانع عزيز .

وأخلص في المسألة لربك ، فإن بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة(3) ، وتفهم وصيتي ، ولا تذهبن عنها صفحاً ، فإن خير القول ما نفع ، واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه .

اي بني ، إني لما رأيتني قد بلغت سناً ، ورأيتني أزداد وهناً، بادرت بوصيتي اليك ، وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي اليك بما في نفسي ، أو أن أنقض في رأيي كما نقصت في جسمي ، أو يسبقني اليك بعض غلبات الهوى ، وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب النفور .

وإنما قلب الحدث(4) كالأرض الخالية ، ما ألقى فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك ، لتستقبل بجد رأيك ، من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

اي بني ، إني - وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي - فقد نظرت في

---

(1) أي ابتعد عن الذي يفعل المنكر .

(2) الى ملجأ حافظ .

(3) أي التدبر في الأمر ، وختيار افضل وجوهه .

(4) قلب الصبي .

أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في اثارهم ، حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهي إليَّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضره ، فاستخلصت لك من كل أمرٍ نخليه ، وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت ـ حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق ، وأجمعت عليك من أدبك ـ أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ، ومقتبل الدهر ، ذو نية سليمة ونفس صافية ، وإن ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك الى غيره[1] ، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم ، فكان إحكام ذلك ما كرهت من تنبيهك له ، أحب الي من إسلامك الى أمر لا آمن عليك به الهلكة ، ورجوت أن يوفقك الله لرشدك وأن يهديك لقصدك ، فعهدت اليك وصيتي هذه . .

واعلم ، يا بني ، إن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي ، تقوى الله ، والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك ، والصالحون من أهل بيتك ، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك الى الأخذ بما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات وعلق الخصومات[2] .

وابدأ بالاستعانة بإلهك ، والرغبة اليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة[3] ، أو أسلمتك الى ضلالة ، فاذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك في ذلك هماً واحداً . فانظر فيا فسرت لك .

---

(١) أي أقف بك عند كتاب الله لاتجاوز بك الى غيره .

(٢) علق الشيء : اذا نشب فيه واستمسك به .

(٣) أدخلتك في شبهة .

وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والإمساك عن ذلك أمثل[1] .

فتفهم ، يا بني ، وصيتي ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المفني هو المعيد ، وأن المبتلي هو المعافي ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد ، أو ما شاء مما لا تعلم . فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك .

فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك ، وليكن له تعبدك واليه رغبتك ، ومنه شفقتك[2] .

واعلم ، يا بني ، أن أحداً لم ينبىء عن الله كما انبأ عنه الرسول ، ﷺ ، فارض به رائداً والى النجاة قائداً ، فإني لم آلك نصيحة ، وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك مبلغ نظري لك .

واعلم ، يا بني ، أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبداً ولم يزل .

أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية .

عظم أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر .

فإذا عرفت ذلك ، فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره وقلة

---

(١) أي إمساك النفس عن الخبط في الدين أحسن أولى .

(٢) أي ومنه خوفك .

بمقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فإنه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح .

يا بني ، إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها .

وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها ، وضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها ، وتحذو عليها .

إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر، نبا بهم منزل جديب، فأموا منّزلاً خصيباً، وجناباً مريعاً، فاحتملوا وعثاء الطريق، وفراق الصديق، وخشونة السفر، حشودة المطعم، ليأتوا سعة دارهم، ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً، ولا يرون نفقة فيه مغرماً، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم، وأدناهم إلى محلهم.

ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب ، فليس شيء أكره اليهم ، ولا أفظع عندهم ، من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون[1] عليه ويصيرون اليه .

يا بني ، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم ، وإن قل ما تعلم ، ولا نعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الإعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك ، واذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ، ومشقة شديدة ، وأنه لا غنى لك فيه عن الإرتياد[2] ، وقدر بلاغك من الزاد ، مع خفة الظهر .

---

(١) أي الى ما ينتهون اليه مبغتة .

(٢) أي لا غنى لك عن حسن الطلب .

فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك .

وإذا وجدت من أهل الفاقة ، من يحمل لك زادك ، الى يوم القيامة ، فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه ، فاغتنمه وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده .

واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كئوداً ، المخف فيها أحسن حالاً من المثقل ، والمبطىء عليها أقبح حالاً من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة ، إما على جنة أو على نار .

فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطىء المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعتب[1] ، ولا الى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض ، قد أذن لك في الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك الى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، ولم يعيرك بالإنابة[2]، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤيسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة.، وحسب حسنتك عشراً ، وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستعتاب ، فإذا ناديته سمع نداك ، وإذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت إليه همومك واستكشفته[3] كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره ، من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق .

---

(١) اي لا أنصرف الى الدنيا بعد الموت .

(٢) يعني إن الله تعالى لم يغير الراجع والتائب إليه ، بل باب التوبة مفتوح للتائبين .

(٣) طلبت منه سبحانه أن يفرج همك وأن يكشف كربك .

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه ، بما أذن لك فيه من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستمطرت شابيب رحمته ، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية .

وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الأمن[1] .

وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر طلبته ، فيه هلاك دينك لو أوتيته[2] .

فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفي عنك وباله ، والمال لا يبقى لك ، ولا تبقى له .

واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللفناء لا للبقاء . وللموت لا للحياة ، وأنك في منزل قلعة ، ودار بلغة[3]، وطريق الى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، ولا بد أنه مدركه ، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة ، قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك ، فإذا أنت قد أهلكت نفسك .

يا بني ، أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتفضي بعد الموت إليه ، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك ، وشددت له أزرك ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك[4] .

وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها ، وتكالبهم عليها ، فقد نبأك الله عنها ، ونعت لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساويها ، فإنما أهلها كلاب

---

(١) كما ورد في الأثر : أن تأخير الإجابة ربما كان لمنفعة الداعي ومصلحته .

(٢) ومن هنا قالوا : ربما كان المنع عطاء .

(٣) منزل قلعة : أي تحول وارتحال ، ودار تأخذ منها الكفاية للآخرة .

(٤) أي يغلبك على أمرك .

عاوية ، وسباع ضارية ، يهر بعضها على بعض[1] ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها .

نعم معقلة وأخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها[2] .

سروح عاهة بواد وعث ، ليس لها راع يقيمها[3] .

سلكت بهم الدنيا طريق العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا في نعمتها ، واتخذوها رباً فلعبت بهم ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها .

رويداً يسفر الظلام[4] ، كأن قد وردت الأظعان ، يوشك من أسرع ان يلحق .

واعلم يا بنيّ أن من كانت مطيته الليل والنهار ، فإنه يسار به وإن كان واقفاً ، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً .

واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدوا أجلك ، وأنك في سبيل من كان قبلك ، فخفض في الطلب ، واجمل في المكتسب ، فإنه رب طلب قد جر الى حرب ، فليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم

واكرم نفسك عن كل دنية ، وإن سافتك الى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً ، وما خير لا ينال إلا بشر ، ويسر لا ينال إلا بعسر .

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وإن استطعت أن

---

(١) يمقت بعضها على بعض .

(٢) والمعنى : أن الأقوياء فيما يأتون من السوء فيما يشاءون . ويمنع الضعفاء من أن يأتون .

(٣) يعني أن أهل الأموال السائمة يسرحون لرعي الافات بأموالهم في وادى المتابع .

(٤) ينكشف الجهل وتظهر الحقيقة .

لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فإنك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، وإن اليسير من الله تعالى أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وإن كان كل منه .

وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك .

وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك ، ومرارة اليأس خير من الطلب الى الناس .

والحرفة مع العفة[1] ، خير من الغنى مع الفجور .

والمرء أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره .

من أكثر أهجر[2] ، ومن تفكر أبصر .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم .

بئس الطعام الحرام ، وظلم الضيف أفحش الظلم .

إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً[3] .

ربما كان الدواء داء والداء دواء ، وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح .

وإياك واتكالك على المنى[4] ، فإنها بضائع الأحمق .

والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك .

بادر الفرصة ، قبل أن تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يؤوب ، ومن الفساد إضاعة الزاد ، ومفسدة المعاد ، ولكل أمر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك .

---

(١) يقصد أن الحرمان مع العفة خير من الغنى مع الفجور .

(٢) يعني من أكثر الكلام وقع الهذي في كلامه .

(٣) الخرق ، العنف ، والمعنى أن الأمر إذا كان يقتضي العنف ثم استبدل العنف بالرفق كأن الرفق عنفاً .

(٤) ما يتمناه الإنسان لنفسه ، ويمني نفسه بالوصول إليه .

التاجر مخاطر ، ورب يسير أنمى من كثير .

ولا خير في معين[1] مهين ، ولا في صديق ظنين .

ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، وإياك أن تجمع بك مطية اللجاج .

احمل نفسك من أخيك ، عند صرمه على الصلة ، وعند صدوره على اللطف والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك .

وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير أهله .

لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك ، وامحض أخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الغيظ ، فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ عاقبة .

ولن لمن غالظك ، فإنه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل ، فإنه أحلى الظفرين[2] .

وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية ، يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما .

ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه ، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه .

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك .

ولا ترغبن فيمن زهد عنك .

---

(١) يعني لا خير في صديق حثير فإنه لا يصلح بمقارنة أن يكون معيناً .

(٢) والظفران هما : ظفر الانتقام ، وظفر التملك بالاحسان .

ولا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته ، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان.

ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فإنه يسعى في مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه .

واعلم يا بني ، أن الرزق رزقان :

رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن أنت لم تأته أتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى .

إن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، وإن كنت جازعاً على ما تفلت من يديك ، فاجزع على كل ما لم يصل إليك.

استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فإن الأمور أشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة ، إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب .

اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين .

من ترك القصد جار . والصاحب مناسب[1] والصديق من صدق غيبه .

والهوى شريك العمى .

رب قريب أبعد من بعيد ، وبعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب .

من تعدى الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له .

وأوثق سبب أخذت به : سبب بينك وبين الله سبحانه ، ومن لم يبالك فهو عدوك .

---

(١) يعني يقدر للصاحب ما يقدر في قرابة النسب .

قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً.

ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده .

أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته ، وقطيعة الجاهل ، تعدل صلة العاقل .

من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه .

ليس كل من رمى أصاب .

إذا تغير السلطان ، تغير الزمان .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

إياك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكاً ، وإن حكيت ذلك عن غيرك .

وإياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن الى أفن ، وعزمهن الى وهن[١] ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن ، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن[٢] ، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها[٣] ، ولا تطعها في أن تشفع بغيرها .

---

(١) يعني : رأيهن ضعيف حتى وإن عزمن .

(٢) يقصد بذلك : أن معنى الحجاب لهن ألا يخرجن الى المواطن العامة فحسب ، بل لا يدخل عليهن في أماكن حجابهن من لا يوثق به عليهن ، وهذا أمر حكيم جداً ينبغي الأخذ به ، والعمل على تحقيقه خاصة وأننا اليوم في ظروف حرجة لا يتأتى لنا معها الاطمئنان والهدوء ، فقد تخبطنا باسم الحضارة ، وخلطنا بين الغث والسمين باسم المدينة ، والحضارة والمدينة من هذا براء .

(٣) يعني ذلك أنه لا يجوز لها أن تتجاوز في إكرامها فتكرم غيرها بشفاعتها : وهذا أمر له من الأهمية ما يوجب علينا كمسلمين أن نتطبقه ونتمسك به ، ولا يحق لنا أن نتجاوز عنه بحجة العفة والثقة ، بأن البلية لا تأتي إلا من موطن الثقة والعطية .

وإياك والتغاير[1] في غير موضع غيرة ، فإن ذلك يدعو الصحيحة الى السقم ، والبريئة الى الريب .

واجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذه به ، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك .

وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصول .

استودع الله دينك ودنياك ، واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة والسلام ، أهـ[2] .

وهذه المعاني الجمة العجيبة الشريفة التي حملها بين طياته ، هذا الخطاب الجامع العميق ، نلمح فيها بداهة التوجيه الحسن الشديد ، والرأي القوي الرشيد ، الذي ينتفع من رعاه وحفظه ، ووعاه وعمل به ، وأدب نفسه بالعمل عليه ، وهذبها بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده .

والحكيم الحكيم من حفظه وتأمله ، والسعيد السعيد ، من هدى لتقبله ، والمجدود من وفق لامتثاله وتقبله .

وإذا ثبت هذا لمن سمع النصيحة ، والتزم طريقها ، وسلك مسلكها ، فما بالنا بسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، وهو موضع سر أبيه ، وملاذ أمره ، ووعاء علمه ، وموئل حكمه وشرعه ، وكهف كتبه ، وجبل دينه ، به رضوان الله تعالى عليه ، أقام انحناء ظهره ، وذهب ارتعاد فرائصه .

ويزداد حرص الإمام علي رضي الله عنه توجيها لابنه الحسن فيقول له :

يا بني : احفظ عني أربعاً وأربعاً ، لا يضرك ما عملت معهن :

---

(١) أي لا تتغير مع المرأة لمجرد سوء الظن .

(٢) راجع كتاب « تحف العقول عن آل الرسول ﷺ ، لابن شعبة الحراني » .

إن اغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق .

يا بني : إياك ومصادقة الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

وإياك ومصادقة البخيل ، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه .

وإياك ومصادقة الفاجر ، فإنه يبيعك بالتافة .

وإياك ومصادقة الكذاب ، فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب ، اهـ .

والحق أن هذا القول من المعاني الكريمة لأن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ، فلسانه تابع لقلبه . .

والأحمق تسبق سقطات لسانه وفلتات كلامه ، فقلبه تابع للسانه ، وفرق ما بين الأمرين من منزلة ، يتساوى مع ما بين الرتبتين من نعمة وبلية .

وتتوالى نصائح الإمام علي رضي الله عنه ، وتكثر وصاياه لابنه الحسن ، ولأخيه الحسين رضي الله عنهما ، صقلاً لأفكارهما ، وتهذيباً لأنفسهما ، وتنويراً لقلوبهما ، وتبصرة لشئون حياتهما .

أخرج ابن الأثير الجزري في تاريخه ، بسنده قال :

دخل جندب بن عبد الله على علي رضي الله عنه فقال :

إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن ؟

قال : ما آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر ، ثم دعا الحسن ، والحسين رضي الله عنهما ، فقال لهما :

أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما ، وقولا الحق وارحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، وضعا للآخرة .

وكونا للظالم خصيماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال :

هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟

قال : نعم .

فقال له : أوصيك بمثله ، بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك ، وتزين أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما ثم قال :

أوصيكما به فإنه أخوكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه .

وقال للحسن : أوصيك أي بني بتقوى الله ، وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور .

وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبيت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن الذكر ، واجتناب الفواحش .

ثم كتب وصيته ، ونصها كما ذكر الطبري في تاريخه :

كانت وصيته رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، أوصى أنه : يشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

﴿ قُلْ: إنَّ صَلاَتِي ونُسكي وَمَحْيَايَ ومَمَاتِي، لِلَّهِ ربِّ العَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنا مِنَ المُسْلِمِين﴾.

ثم أوصيك يا حسن ، وجميع ولدي، وأهلي بتقوى الله ربكم ولا تموتن الا

وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، إني سمعت أبا القاسم ﷺ :

إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام .

انظروا الى ذوي أرحامكم فصلوها يهون الله عليكم الحساب .

والله الله في الأيتام ، فلا تعنوا أفواهم ولا يضيعن بحضرتكم .

والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ﷺ .

«ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» .

والله الله في القرآن : فلا يسبقكم الى العمل به غيركم .

والله الله في الصلاة : فإنها عمود دينكم .

والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم يناظر .

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم .

والله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب الرب .

والله الله ي ذمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم .

والله الله في أصحاب نبيكم ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم .

والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معايشكم .

والله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم

الصلاة الصلاة : لا تخافوا في الله لومة لائم .

يكفيكم من أرادكم ، وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم .

وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق .

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ البِّرِ وَالتَّقْوىَ ، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُـوا آللهَ ، إِنَّ آللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾[1] .

حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم استودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ، ورحمة الله .

ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله ، حتى قبض رضي الله عنه وأرضاه ، وذلك في شهر رمضان سنة ٤٠ هـ .

وغسله الحسن والحسين ، وعبد الله بن جعفر . .

وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات . .

وفي رواية أخرى ذكرها صاحب تحفة العقول ونصها :

« أوصى المؤمنين بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وصلى الله على محمد وسلم» .

ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

ثم إنى أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جمعاً ولا تفرقوا

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول .

«صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم . وإن الخالق للدين فساد

(١) المائدة آية (٢)

ذات البين، ولا قوة إلا بالله».

«انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يُهوّن الله عليكم الحساب».

الله الله في الأيتام ، لا يضيعوا بحضرتكم ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«من عال يتيماً حتى يستغنى أوجب الله له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار».

الله الله في القرآن فلا يسبقنكم الى العمل به غيركم .

الله الله في جيرانكم ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم ، وقال :

«ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

الله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم ، فإنه إن نزل لم تناظروا وأدنى ما يرجع به من أمه أن يغفر له ما سلف .

الله الله في الصلاة فإنها خير العمل إنها عماد دينكم .

الله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم .

الله الله في صيام شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار .

الله الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معايشكم .

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فإنما يجاهد رجلان : إمام هدى ، أو مطيع له مقتد بهداه .

الله الله في ذرية نبيكم لا تظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرون على المنع عنهم .

الله الله من أصحاب نبيكم لم يحدثوا حدثاً ولم يأووا محدثاً ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤدي للمحدثين .

الله الله في النساء ، وما ملكت أيمانكم ، فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال :

«أوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم».

الصلاة، الصلاة، الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم، بكفكم من أرادكم ، وبغى عليكم قولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الله أمركم شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم عليهم .

عليكم يا بني بالتواصل ، والتباذل ، والتبادر ، وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب .

وحفظكم الله من أهل بيت وحفظ نبيكم فيكم ، استودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم لم يزل يقول لا إله إلا الله حتى مضى » . اهـ .

منزلته عند الناس

دواعي الحق بحسن البيان ناطقة ، وألسنة الخلق فيما ورد به التكليف صادقة .

وخواطر الغيب بكشف ظلم الريب مفصحة ، وزواجر التحقيق عن متابعة التمويه للقلوب ملازمة .

غير أن الهداية ليست من حيث السعاية ، وإنما الهداية من حيث البداية .

وليست الهداية بفكر العبد ونظره ، وإنما الهداية بفضل الحق وجميل ذكره .

فمن قام بحق الله تعالى ، تولى الله أموره ، على وجه الكفاية ، فلا يخرجه الى أمثاله ، ولا يدع شيئاً من أحواله ، إلا أجراه على ما يريده بحسن أفضاله .

فإن لم يفعل ما يريده ، جعل العبد راضياً بما يفعل ، وروح الرضا على الأسرار ، أتم من راحة العطاء على القلوب .

وأمامنا الجليل الحسن بن علي رضي الله عنه ، له من شهادة الخلق ، ما يعبر عنه بأقلام الحق ، ومن ثناء الخلق ما يعد من دواعي الحق .

فمد أن نشأ ، رضي الله عنه ، وهو يرى أن تقوى الله حمته من محارمه ،

وألزمت قلبه مخافته ، حتى أسهرت لياليه ، وأظمأت هواجره ، فأخذ الراحة بالنصب ، والري بالظمأ ، واستقرب الأجل ، فبادر العمل ، وكذب الأمل .

والباحث في تاريخه رضي الله عنه والدارس لسيرته ، والمتتبع لآثاره ، يجد من كلام الرواة الثقات ، والحفاظ المكثرين ما يبين لنا بوضوح واضح ، منزلة الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، عندهم ، ومكانته لديهم .

يقول عنه أبو نعيم في الحلية :

« فأما السيد المحبب ، والحكيم المقرب ، الحسن بن علي رضي الله عنهما . فله في معاني المتصوفة الكلام المشرق المرتب ، والمقام المؤنق المهذب » .

ويقول ابن أسعد اليافعي :

ومن توكله : أنه بلغه أن أبا ذر يقول :

« الفقر أحب إليَّ من الغنى ، والسقم أحب إليَّ من الصحة » .

فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول :

من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له ، لم يختر غير ما اختار الله له .

ثم يعلق الحافظ الذهبي على هذا فيقول في سير أعلام النبلاء :

« وهذا حد الوقوف على الرضا مما تصرف به القضاء » أهـ .

ويعبر ابن قتيبة في كتابه النفيس (عيون الأخبار) عن منزلة الإمام الحسن رضي الله عنه ، عند الناس فيقول :

مقام الحسن عند عمر بن هبيرة :

كتب ابن هبيرة الى الحسن ، وابن سيرين ، والشعبي ، فقدم بهم عليه ، فقال لهم :

إن أمير المؤمنين يكتب إليَّ في الأمر ، إن فعلته خفت على ديني ، وإن لم أفعله خفت على نفسي .

فقال له ابن سيرين ، والشعبي قولاً رقفا فيه .

وقال له الحسن :

يا ابن هبيرة ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله .

يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله .

يا ابن هبيرة : إنه يوشك أن يبعث الله إليك ملكاً فينزلك عن سريرك الى سعة قصرك ، ثم يخرجك عن سعة قصرك الى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ،

يا ابن هبيرة : إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ،

وأمر لابن سيرين والشعبي بألفين ،

فقالا : «رقفنا فرقق لنا» أ هـ.

وأخرج اليعقوبي في تاريخه بسنده قال :

قال معاوية : «ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمة فحش قط ، إلا مرة ، فإنه كان بين الحسن بن علي ، وبين عمرو بن عثمان بن عفان ، خصومة في أرض ، فعرض الحسن بن علي أمراً ، لم يرضه عمرو ؟

فقال الحسن ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ،

فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط» . أهـ.

ويقول المجويري في الكشف :

عندما ارتفع شأن القدريين ، وكانت لهم الغلبة ، وانتشر مبدأ أهل الاعتزال في الدنيا ، كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي وقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ،

السلام عليك يا ابن رسول الله ، وقرة عينه ، ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فإنكم معشر بني هاشم كالفلك الجارية في اللجج ، ومصابيح الدجى ، وأعلام الهدى والأئمة القادة ، الذين من تبعهم نجا ، كسفينة نوح المشحونة ، التي يأوي إليها المؤمنون ، وينجو بها المتمسكون .

فما قولك يا ابن رسول الله ﷺ عند حيرتنا في القدر ، واختلافنا في الاستطاعة ؟ لتعلمنا بما تأكد عليه رأيك ، فإنكم ذرية بعضها من بعض ، يعلم الله علمكم ، وهو الشاهد عليكم ، وأنتم شهداء على الناس ، والسلام » .

وحينما وصله الخطاب أجابه قائلاً :

أما بعد : فقد انتهى إليَّ كتابك ، عند حيرتك وحيرة من زعمت من أمتنا ، والذي عليه رأي :

أن من لم يؤمن بالقدر خيره وشره ، فقد كفر ،

ومن حمل المعاصي على الله فقد فجر ،

إن الله لا يطاع بإكراه ، ولا يعصى بغلبة ، ولا يهمل العباد من المملكة ،

ولكنه المالك لما ملكهم ، والقادر على ما غلب عليه قدرتهم ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن لهم صاداً ، ولا لهم عنا مثبطاً ، فإن أتوا بالمعصية ، وشاء أن يمن عليهم ، ويحول بينهم وبينها فعل ، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجباراً ، ولا ألزمهم إياه إكراهاً باحتجاجه عليهم ، أن عرضهم ومكنهم ، وجعل لهم السبيل الى أخذ ما دعاهم إليه ، وترك ما ينهاهم عنه ، ولله الحجة البالغة والسلام .

ثم يعلق الهجويري على هذا فيقول :

ويقصد الحسن أن العبد مختار في كسبه بقدر استطاعته من الله عز وجل والدين بين الجبر والقدر ، ولـم يكن مرادي من هذا الخطـاب إلا هذه الكلمـة ، ولكنـي أوردتها بجملتها ، لأنها بينة الفصاحة والبلاغة ،

وقد أوردتها لأبين الى أي درجة بلغ رضي الله عنه في علم الحقائق والأصول ، فإشارة الحسن البصري بالرغم من بلاغتها ، تعد من بدء العلم .

وقد قرأت أنه بينما كان الحسن بن علي جالساً عند باب داره في الكوفة ، إذ جاء أعرابي فسبه وسب أباه وأمه ، فنهض الحسن بن علي قائلاً :

« أيها الأعرابي ، أجوعان أنت حتى أطعمك ، أم ظمآن حتى أرويك ، أم ماذا بك ؟» .

فلم يلتفت الأعرابي إليه ، بل استمر في سبابه ، فأمر الحسن عبده أن يأتي بكيس من الفضة ، ثم أعطاه للرجل قائلاً :

« عفواً أيها الأعرابي ، فليس لدي غيره ، ولو كان لدي المزيد لأعطيتك » .

وعندما سمع الأعرابي منه هذا القول صاح :

« أشهد أنك ابن بنت النبي ، ﷺ ، فقد جئتك أختبر حلمك » .

ثم قال : هكذا يكون أولياء الله الحقيقيون ، الذين لا يهمهـم ، أمدحهـم الناس أم لاموهم ، والذين يسمعون اللوم هادئين فيستوي عندهم مدح الخلق لهم أو قدحهم فيهم .

وأخرج ابن جحر في تهذيب التهذيب بسنده قال :

قال جويرة : لما مات الحسن بن علي بكى مروان في جنازته ، فقال الحسين : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟

فقال إني كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا ، وأشار بيده الى الجبل .

ويقول ابن خلكان في وفيات الأعيان :

كان الحسن إذا فرغ من الوضوء تغير لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال :

« حق على ما أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه » اهـ .

وأخرج الحافظ ابن كثير بسنده قال :

« ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي » .

وقال غيره : كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله ، يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ثم يسند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله ﷺ ، رجل له شرف إلا أتاه ويجلس إليه من يجلس ، من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن ، فربما أتحفنه ثم ينصرف الى منزله ، وما نزل لمعاوية عن الخلافة إلا من ورعه ، صيانة لدماء المسلمين .

كان له على معاوية في كل عام جائزة ، وكان يفد إليه ، فانقطع سنة عن الذهاب وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن فربما أجازه بأربعمائه ألف درهم ، وراتبه في كل سنة مائة الف ، إليها ، ـ وكان من أكرم الناس ـ فأراد أن يكتب الى معاوية ليبعث بها اليه ، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله ﷺ ، في المنام فقال له :

يا بني أتكتب الى مخلوق بحاجتك ؟ وعلمه دعاء يدعو به (١) فترك الحسن ، ما كان هم به من الكتاب ، فذكره معاوية وافتقده ، وقال :

ابعثوا إليه بمائتي ألف ، فلعل له ضرورة في تركه القدوم علينا ، فحملت إليه من غير سؤال .

وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول :

---

(١) سبق أن ذكرنا نص الدعاء عند الحديث عن مكانته رضي الله عنه عند جده ﷺ .

الحسن بن علي مدني ثقة .

حكاه ابن عساكر في تاريخه ، قالوا :

وقاسم الله ثلاث مرات ،

وخرج من ماله مرتين ،

وحج خمساً وعشرين مرة ماشياً ، وأن النجائب لتقاد بين يديه .

وروى ذلك البيهقي من طريق عبيد الله بن عمير عن ابن عباس ،

وقال علي بن زيد بن جدعان : وقد علق البخاري في صحيحه : أنه حج ماشياً والنجائب تقاد بين يديه .

وروى داود بن رشيد عن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال :

« حج الحسن بن علي ماشياً والنجائب تقاد بين يديه ، ونجائبه تقاد الى جنبه » .

وقال العباس بن الفضل عن القاسم عن محمد بن علي قال : قال الحسن بن علي :

إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش الى بيته ، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه .

قالوا : وكان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم .

وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرؤها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه ، فيقرؤه بعدما يدخل في الفراش قبل أن ينام رضي الله عنه .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده ، وابن عبد البر في الاستيعاب قالا :

قال له والده علي رضي الله عنه يوماً :

قم يا حسن فاخطب الناس .

فقال : اني أهابك أن أخطب وأنا أراك ، فتغيب عنه بحيث يسمع كلامه ولا يراه .

فقام الحسن فحمد الله ، وأثنى عليه ، وتكلم ثم نزل .

فقال علي : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .

وهاجر قوم من قريش فذكر كل رجل منهم مناقبه فقال معاوية للحسن :

يا أبا محمد ، ما يمنعك من القول فما أنت بكليل اللسان ؟

قال يا أمير المؤمنين : ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة إلا ولي محضها ولبابها ثم قال :

فيم الكلام وقد سبقت مبرزاً
سبق الجياد من الذي يتنفس ؟

وأخرج اليعقوبي في تاريخه بسنده عن رجاء بن ربيعة قال :

كنت جالساً بالمدينة في مسجد رسول الله ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد وعبد الله بن عمرو فمر الحسن بن علي ، فسلم فرد عليه القوم ، وسكت عبد الله بن عمرو ، ثم أتبعه فقال : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم قال :

هذا أحب أهل الأرض الى أهل السماء ، والله ما كلمته منذ ليال صفين .

فقال أبو سعيد : ألا تنطلق إليه فتعتذر إليه ؟

قال: نعم.

قال : فقام فدخل أبو سعيد فاستأذن له ، ثم استأذن لعبد الله بن عمرو ،

فدخل فقال أبو سعيد لعبد الله بن عمرو :

حدثنا بالذي حدثتنا به حيث مر الحسن .

فقال : نعم ، أنا أحدثكم به ، أنه أحب أهل الأرض الى أهل السماء .

قال : فقال له الحسن :

إذا علمت أني أحب أهل الأرض الى أهل السماء فلم قاتلتنا أو كثرت يوم صفين ؟

قال : أما أني والله ما كثرت سواداً ولا ضربت معهم بسيف ولكني حضرت مع أبي أو كلمة نحوها .

قال : أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله ؟

قال : بلى ولكني كنت أسرد الصوم على عهد رسول الله ﷺ ، فشكاني أبي الى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله :

إن عبد الله بن عمرو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، قال صم وافطر وصل ونم ، فإني أنا أصلي وأنام وأصوم وأفطر .

ثم قال لي : يا عبد الله ، أطع أباك ، فخرج يوم صفين وخرجت معه .

رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد وهو ثقة .

وعن عبد الرحمن بن أبي عوف قال : قال عمرو بن العاص ، وأبو الأعور السلمي لمعاوية :

إن الحسن بن علي عيي فقال معاوية :

لا تقولا ذلك فإن رسول الله ﷺ ، قد تفل في فيه ، ومن تفل في فيه رسول الله ، ﷺ فليس بعيي .

فقال الحسن بن علي :

أما أنت يا عمرو ، فتنازع فيك رجلان فانظر أيهما أباك ،

وأما أنت يا أبا الأعور ، فإن رسول الله ﷺ لعن رعلاً ، وذكوان ، وعمرو بن سفيان .

رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عون السيرافي ورجاله ثقات .

وعن المقبري قال :

كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فسلم فرد عليه القوم ، ومعنا أبو هريرة لا يعلم .

فقيل له : هذا حسن بن علي يسلم ، فلحقه فقال :

وعليك يا سيدي .

فقيل له تقول : يا سيدي ؟ فقال : أشهد أن رسول الله ﷺ قال : إنه لسيد .

رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وأخرج الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء قال :

أنبأنا العوام بن حوشب ، عن هلال بن يساف قال : سمعت الحسن يخطب ويقول :

يا أهل الكوفة ، اتقوا الله فينا فأنا أمراؤكم ، وأنا أضيافكم ، ونحن أهل البيت الذي قال الله فيهم :

﴿ إِنَّما يُريدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ﴾ .

قال : فما رأيت قط باكيا اكثر من يومئذ.

وأخرج المسعودي في مورج الذهب بسنده قال : قال صاحب العقد :

« بينما معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب .

فقال معاوية : أنه إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه .

فقال له مروان بن الحكم :

ايذن له ، فإني أسأله عما ليس عنده فيه جواب .

قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قوم : ألهموا الكلام عن وحي ، واغترفوه من بحر » .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده قال :

قال عبد الله بن مصعب :

« كان رجل عندنا قد انقطع في العبادة فإذا ذكر عبد الله بن الزبير بكى ، وإذا ذكر علياً نال منه ، فقلت له :

ثكلتك أمك ، لغدوة من علي ، أوروحة في سبيل الله ، خير من عمر عبد الله بن الزبير حتى مات» .

ولقد أخبرني عبد الله بن عروة أن عبد الله بن الزبير قعد الى الحسن في غداة من الشتاء باردة ، فوالله ما قام حتى تصبب جبينه عرقاً فغاظني ذلك ، فقمت إليه ولمته على ما فعل فقال :

« والله يا ابن أخي ما قالت النساء عن مثله » .

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب ، وابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل :

« كان الحسن بن علي رضي الله عنه ، حليماً كافياً، ورعاً فاضلاً ، دعاه ورعه وفضله الى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ، وكان يقول :

« والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني وما يضرني أن ألي أمر أمة محمد ﷺ ، على أن يهراق في ذلك محجمة دم » .

وكان من المبادرين الى نصرة عثمان بن عفان .

وأخرج الحافظ الذهبي بسنده قال :

حدثني مساور السعدي قال :

رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن ، يبكي وينادي بأعلى صوته :

يا أيها الناس ، مات اليوم حب رسول الله ﷺ ، فابكوا .

ويقول ابن أسعد اليافعي في مرآة الجنان .

« ومناقبه ـ أي الحسن بن علي ـ بالأنساب ، والاكتساب ، والقرابة ، والنجابة ، والمحاسن ، في الظاهر والباطن معروفة مشهورة ، وفي تعدادها غير محصورة ، وكان مع نهاية الشرف والارتفاع في غاية التلطف والاتضاع » أهـ .

رحمه الله تعالى ورضي عنه .

خلافته رضي الله عنه

إذا علم الله صدق قلب عبده أمده بحسن الأمجاد ، وأكرمه بجميل الامتداد ، ويسر عليه العسير من الأمور ، وحفظه عن الشرور ، وعطف عليه قلوب الذين يؤمنون .

وإمامنا الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، أحد الخلفاء الراشدين ، بعد أبيه أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، تحققت به وعليه ، معجزة جده رسول الله ﷺ :

« الخلافة بعدي ثلاثون سنة »

وصدق صلوات الله وسلامه عليه ، وصدقت معجزته الخالدة ، فكان للإمام الحسن منها ، ستة أشهر تتميماً لها .

وقيل ولي الخلافة سبعة أشهر وأحد عشر يوماً ، كما ذكر ابن عساكر في تاريخه . وكما سيأتي بعد .

ولي رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة أبيه ، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،

ولم تكن ولايته عن وصاية أبيه له ، كما رأى ذلك بعض أصحابه .

يقول الحافظ بن كثير :

لما ضرب « ابن ملجم » الإمام علياً رضي الله عنه دخل عليه « جندب بن عبد الله » وقال له :

« استخلف يا أمير المؤمنين ، إن فقدناك ، ولا نفقدك يا أمير المؤمنين ، أنبايع الحسن ؟ » .

فقال له : لا .

ما آمركم ولا أنهاكم ، ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم ، كما جمعكم على خيركم ، بعد رسول الله ﷺ» . أهـ .

ولما توفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، تقدم الى الإمام الحسن بن علي ، أهل الكوفة بالبيعة ، وكان أول من بايعه ، هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه ، وقال له :

ابسط يدك أبايعك ، على كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ ؟

فقال الحسن بن علي : على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، فإنهما يأتيان على كل شرط ، فبايعه الناس على ذلك .

فأقام بها ستة أشهر خليفة حق ، وإمام عدل وصدق ، تحقيقاً لما أخبر به جده رسول الله ﷺ بقوله :

«الخلافة بعدي ثلاثون سنة» .

فقد كانت الستة أشهر تتميماً لها ، ومن أجل ذلك ، كانت خلافته منصوصاً عليها ، غير أنها كانت محدودة الأجل .

وقد أخرج ابن عساكر في التاريخ بسنده ، قال :

أخرج الحافظ عبد الله بن الإمام أحمد ، عن سفينة عن النبي ﷺ أنه قال :

« الخلافة بعدي ثلاثون سنة »

ثم قال رجل كان حاضراً في مجلس عبد الله بن الإمام أحمد :

قد دخلت من هذه الثلاثين ستة شهور في خلافة معاوية .

فقال : من هنا ، أن تلك الشهور كانت فيها البيعة للحسن ، بايعه أربعون ألفاً ، واثنان وأربعون ألفاً .

ولما قتل علي رضي الله عنه ، بايع أهل الكوفة الحسن بن علي رضي الله عنه ، وأطاعوه ، وأحبوه أشد من حبهم لأبيه .

وكان قد ولي الخلافة سبعة أشهر وأحد عشر يوماً ، وكان التقاؤه مع معاوية بمسكن من أرض العراق ، فتصالحها في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين . أهـ .

ويقول الحافظ ابن كثير :

لما توفي الإمام علي بن أبي طالب ، وصلى عليه ابنه الحسن رضي الله عنه ، لأنه أكبر بنيه رضي الله عنهم ، ودفن بدار الإمارة على الصحيح من أقوال الناس .

فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم الى الحسن بن علي رضي الله عنه : قيس بن سعد بن عبادة ، فقال له :

أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ، فسكت الحسن ، فبايعه ، ثم بايعه الناس بعده ، وكان ذلك يوم مات علي رضي الله عنه ، وكان موته يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين .

وقيل إنما مات بعد الطعنة بيومين .

وقيل : مات في العشر الأخيرة من رمضان ، وولي الخلافة من يومئذ ، الحسن بن علي بعد أبيه ، رضي الله عنهما .

وكان قيس بن سعد على أمرة أذربيجان ، تحت يده أربعون ألف مقاتل ، قد بايعوا علياً على الموت فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن بن علي في النفير لقتال أهل الشام ، فعزل قيساً على أمرة أذربيجان ، وولي عبيد الله بن عباس رضي الله عنه عليها .

ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً ، ولكن غلبوه على رأيه ، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله .

فأمر الحسن بن علي : قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه ، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام ، ليقاتل معاوية وأهل الشام ، فلما اجتاز بالمدائن نزلها ، وقدم المقدمة بين يديه ، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها ، إذ صرخ في الناس صارخ :

ألا أن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضاً حتى انتهبوا سرادق الحسن بن علي حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه ، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أثبتوه وأشوته ، فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب فدخل القصر الأبيض في المدائن ، فنزله وهو جريح .

وكان عامله وقت ذلك على المدائن ، سعد بن مسعود الثقفي أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر ، فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبي عبيد لعمه سعد بن مسعود :

هل لك في الشرف والغني ؟

قال : ماذا ؟

قال : تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه الى معاوية .

فقال له عمه : قبحكم الله وقبح ما جئتم به ، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ ؟

ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليه ، مقتهم وكتب عند ذلك الى معاوية بن أبي سفيان ـ وكان قد ركب في أهل الشام فنزل مسكن ـ يراوضه على الصلح بينهما .

فبعث إليه معاوية : عبد الله بن عامر ، وعبد الرحمن بن سمرة ، فقدما عليه الكوفة ، فبذلا له ما أراد من الأموال ، فاشترط :

أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف درهم .

وأن يكون خراج دار أبجرد له .

وأن لا يسب علي وهو يسمع .

فإذا فعل ذلك نزل عن الأمرة فيه .

وأخرج الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء بسنده عن يونس بن أبي إسحق ، عن أبيه :

أن أهل العراق لما بايعوا الحسن قالوا له :

سر الى هؤلاء الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظائم ، فسار الى أهل الشام، وأقبل معاوية حتى نزل جسر منبج، فبينما الحسن بالمدائن إذا نادى منادٍ في عسكره،

ألا أن قيس بن سعد قد قتل ، فشد الناس على حجرة الحسن فنهبوا حتى بسطه وأخذوا رداءه ، وطعنه رجل من بني أسد في ظهره بخنجر مسموم في االإليته، فتحول ونزل قصر كسرى الأبيض وقال :

عليكم لعنة الله من أهل قرية ، قد علمت أنه لا خير فيكم ، قتلتم أبي بالأمس ، واليوم تفعلون بي هذا ، ثم كاتب معاوية في الصلح على أن يسلم له ثلاث خصال .

يسلم له بيت المال يقضي منه دينه ومواعيده ويتحمل منه هو وآله ، ولا يسب علي وهو يسمع ، وأن يحمل إليه خراج دار أبجرد كل سنة الى المدينة .

فأجابه معاوية وأعطاه ما سأل .

ويقال : بل أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل الى معاوية ، حتى أخذ له كما سأل ، فكتب إليه الحسن أن أقبل ، فأقبل من جسر منبج الى مسكن في خمسة أيام ، فسلم إليه الحسن الأمر وبايعه ، حتى قدما الكوفة ووفى معاوية للحسن ببيت المال ، وكان فيه يومئذ سبعة آلاف درهم ، فاحتملها الحسن وتجهز هو وأهل بيته الى المدينة ، وكف معاوية عن سب علي والحسن يسمع ، وأجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم ، وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين . .

وعن عمرو بن دينار ، أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة ، فلما توفي علي بعث الى الحسن فأصلح ما بينه وبينه سراً ، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي ليسمينه وليجعلن هذا الأمر إليه ، فلما توثق منه الحسن ، قال ابن جعفر :

والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم ، فجذب بثوبي وقال :

يا هناه اجلس فجلست فقال :

إني قد رأيت رأياً ، وإني أحب أن تتابعني عليه ، قلت : ما هو ؟

فقال : قد رأيت أن أعمد الى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت الدماء ، وقطعت الأرحام والسبل ، وعطلت الفروج . .

قال ابن جعفر : جزاك الله خيراً عن أمة محمد فأنا معك ، فقال : ادع الى الحسين ، فأتاه فقال له :

أي أخي ، قد رأيت كيت ، وكيت ، وكيت ، فقال :

أعيذك بالله تكذب علياً وتصدق معاوية ؟

فقال الحسن رضي الله عنه :

والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني ؟ والله قد هممت أن اقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي كري .

فلما رأى الحسين غضبه قال : أنت أكبر ولد علي وأنت خليفته ، وأمرنا لأمرك تبع .

فقام الحسن فقال : أيها الناس إني كنت أكره لأول هذا الأمر ، وأنا أصلحت آخره الى أن قال :

إن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك ، أو لشر يعلمه فيك :

﴿ وإنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إلَى حِينٍ ﴾[1] ثم نزل .

وأخرج ابن أبي خيثمة أن الحسن سار في أهل العراق ، وسار معه معاوية في أهل الشام ، فلما التقوا كره الحسن القتال ، وبايع معاوية علي أن يجعل العهد لأخيه الحسين من بعده .

فكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين .

فيقول لهم : العار خير من النار .

وقال عوانة بن الحكم بينا نحن بالمدائن ، إذ نادى مناد في عسكر الحسن ألا أن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فانتهب الناس سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً تحته ووثب عليه رجل من الخوارج من بني أمية فطعنه بالخنجر ووثب الناس على الأسدي فقتلوه ، ثم خرج الحسن حتى نزل القصر الأبيض بالمدائن ، فكتب الى

---

(١) الأنبياء آية : ١١١ .

معاوية بالصلح ، ثم قام في الناس فقال :

يا أهل العراق إني أضن عليكم بنفسي ، قتلتم أبي ، وطعنتموني ، وانتهبتم متاعي .

وقال الزهري : لما بايعه أهل العراق أخذ يشترط عليهم فقال :

إنكم لي سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت ؟

فارتاب أهل العراق في أمره حين اشترط هذا الشرط فقالوا :

ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال ، فلم يلبث بعد ما بايعوه إلا قليلاً حتى طعن طعنة أشوته فازداد لهم بغضاً، وازداد منهم ذعراً.

وقال رباح بن الحارث كنت عند منبر الحسن بن علي وهو يخطب الناس بالمدائن فقال :

ألا أن أمر الله واقع إذ ما له دافع ، وإن كره الناس أني ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم قد علمت ما ينفعني مما يضرني فالحقوا بطيكم .

وقال أبو السفر لما بايعه أهل العراق قالوا له :

سر الى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله ، وارتكبوا العظيم وابتزوا الناس أمورهم ، فإنا نرجوا أن يمكن الله منهم .

فسار الحسن الى أهل الشام ، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة ، في اثني عشر ألفاً ، وكانوا يسمون شرطه الخميس .

وقال غيره : وجه الى الشام عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد ، فسار بهم قيس حتى نزل مسكن والأنبار وناحيتها ، وسار الحسن حتى نزل بالمدائن ، وأقبل معاوية في أهل الشام، يريد الحسن ، حتى نزل جسر منبج ، فبينا الحسن

بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره : ألا أن قيس بن سعد قد قتل ، فشد الناس على حجرة الحسن فانتهبوها ، حتى انتهبت بسطه وجواريه وأخذوا رداءه عن ظهره ، وطعنه رجل من بني أسد بخنجر مسموم في إليته ، فتحول من مكانه الذي انتهب فيه متاعه ، وقال :

عليكم لعنة الله من أهل قرية قد علمت أنه لا خير فيكم ، قتلتم أبي بالأمس ، واليوم تفعلون بي هذا ثم دعا عمرو بن سلمة الأزجي فأرسله وكتب معه الى معاوية يسأله الصلح ، ويسلم له الأمر ، على أن يسلم لثلاث خصال :

١ ـ يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه .

ويتحمل منه هو وعيال أهل أبيه وولده وأهل بيته .

٢ ـ ولا يسب علياً وهو يسمع .

٣ ـ وأن يحمل إليه خراج دار أبجرد من أرض فارس كل عام الى المدينة ما بقي .

فأجابه معاوية ذلك وأعطاه ما سأل وما أراد .

ثم أنه أقبل عليه فأقبل من جسر منبج الى مسكن ، في خمسة أيام ، فسلم الحسن إليه الأمر وبايعه ، ثم ساروا جميعاً حتى دخل الكوفة ، فنزل الحسن القصر ، ونزل معاوية النخيلة ، فأتاه الحسن في عسكره غير مرة ، ووفى معاوية للحسن بيت المال ، وكان فيه يومئذ سبعة آلاف درهم فاحتملها الحسن ، وتجهز بها هو وأهل بيته الى المدينة ، وكف معاوية عن سب علي ، ودس معاوية الى أهل البصرة فطردوا وكيل الحسن وقالوا :

لا تحمل فينا الى غيرنا يعنون الخراج ، فأجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم ، وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين .

ولما قدم المدينة قيل له : تركت إمارتك وسلمتها الى رجل من الطلقاء وقدمت المدينة ؟

فقال : إني اخترت العار على النار .

وقال عمرو بن دينار :

إن معاوية كان يعلم أن الحسن كان أكره الناس للفتنة فلما توفي علي رضي الله عنه ، بعث إليه فأصلح الذي بينه وبينه سراً ، وأعطاه عهداً إن حدث به حدث والحسن حي ليسمينه وليجعلن هذا الأمر إليه ، فلما توثق منه الحسن ، قال ابن جعفر :

والله أني لجالس عنده إذ أخذت لأقوم ، فجذب ثوبي وقال : يا هناه اجلس ، فجلست قال : إني قد رأيت رأياً وأني أحب أن تتابعني عليه .

قلت : ما هو ؟

قال : قد رأيت أن أعهد الى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت فيها الدماء ، وقطعت فيها الأرحام ، وقطعت السبل ، وعطلت الفروج[1] .

فقال ابن جعفر : جزاك الله عن أمة محمد خيراً ، وأنا معك ، فبعث الى الحسين فأتاه فقال :

أي أخي إني قد رأيت رأياً ، وأحب أن تتابعني عليه .

قال : ما هو ؟ فقص عليه الذي قال لابن جعفر ، فقال له الحسين رضي الله عنه :

أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره ، وتصدق معاوية .

فقال الحسن : والله ما أردت أمراً قط إلا قد خالفتني الى غيره ، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري .

---

(١) أي الثغور .

فلما رأى الحسين غضبه قال :

أنت أكبر ولد علي ، وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع ، فافعل ما بدا لك .

فقام الحسن رضي الله عنه فقال :

يا أيها الناس إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث وأنا أصلحت آخره لذي حق أديت إليه حقه ، أحق به مني أو حق حدث فيه إصلاح أمة محمدﷺ ، وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أو أمر يعلمه فيك .

﴿ وإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1] ثم نزل .

وقال ابن دريد : قام الحسن بعد موت أبيه فقال بعد حمد الله :

أنّا والله ما أنبأنا عن أهل الشام بشك ولا ذم ، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر ، فشيعت السلامة بالعداوة ، والصبر بالجزع ، وكنتم في مبدئكم الى صفين ، ودينكم أمام دنياكم ، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ، ألا وإن لكم كما كنا ، وكنتم لنا كما كنتم ، ألا وقد أصبحتم بعد قتيلين ، قتيل بصفين تبكون له ، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره ، فأما الباقي فخاذل ، وأما الباكي فثائر .

ألا وأن معاوية دعانا الى أمر ليس فيه عز ولا نصفة .

فإن أردتم الموت رددناه عليه ، وحاكمناه الى الله جل وعز بظباء السيوف .

وإن أردتم الحياة قتلناه وأخذنا لكم الرضا .

فناداه القوم من كل جانب : التقية ، التقية ، فلما أفردوه أمضى الصلح .

ويوجز اليعقوبي القول في خلافة الإمام الحسن رضي الله عنه فيقول :

اجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي ، وخرج الحسن بن علي الى المسجد

---

(١) تعمدنا أن نذكر الروايتين على الرغم من وضوح التكرار في المعنى ، لاختلاف الألفاظ والسياق فيهما ، وإثبات صحة الواقعة ، فالتكرار هنا يفيد التأكيد ، وهذا أدعى للإثبات .

الجامع فخطب خطبة له طويلة ، ودعا بعبد الرحمن بن ملجم فقال عبد الرحمن : ما الذي أمرك به أبوك ؟

قال : أمرني ألا أقتل غير قاتله ، وأن أشبع بطنك ، وأنعم وطاءك ، فإن عاش اقتص أو أعفى ، وإن مات ألحقتك به .

فقال ابن ملجم :

إن كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضى .

فضربه الحسن بالسيف فالتقاه بيده ، فندرت وقتله .

وأقام الحسن ستة أشهر ، ووجه بعبيد الله بن العباس في اثني عشر ألفاً لقتال معاوية ، ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، وأمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ، ورأيه فسار الى ناحية الجزيرة ، وأقبل معاوية لما انتهى الخبر بقتل علي سار الى الموصل بعد قتل علي بثمانية عشر يوماً ، والتقى العسكران ، فوجه معاوية الى قيس بن سعد يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه ، أو ينصرف عنه ، فأرسل إليه بالمال ، وقال له :

تخدعني عن ديني ؟

فيقال : إنه أرسل الى عبيد الله بن عباس وجعل له ألف ألف درهم فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه ، وأقام قيس على محاربته ، وكان معاوية يدس الى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه .

ويوجه الى عسكر قيس من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه .

ووجه معاوية الى الحسن المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز ، وعبد الرحمن بن أم الحكم ، وأتوه وهو بالمدائن نازل في مضاربه ، ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويسمعون الناس ، أن الله قد حقن بابن رسول الله ﷺ الدماء ، وسكن به الفتنة ، وأجاب الى الصلح فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم ،

فوثبوا بالحسن فانتبهوا مضاربه وما فيها ، فركب الحسن فرساله ، ومضى في مظلم ساباط ، وقد كمن الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمعول في فخذه وقبض على لحية الجراح ، ثم لواها فدق خنقه ، وحمل الحسن الى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً ، واشتدت به العلة فافترق عنه الناس ، وقدم معاوية العراق فغلب على الأمر والحسن عليل شديد العلة ، فلما رأى الحسن أن لا قوة به ، وأن أصحابه قد افترقوا عنه ، فلم يقوموا له ، صالح معاوية وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يا أيها الناس : إن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، وقد سالمت معاوية وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين[1] .

وبعد : فيقول ابن عبد البر في الاستيعاب :

عن شرحبيل بن سعد قال :

مكث الحسن بن علي نحواً من ثمانية أشهر لا يسلم الأمر الى معاوية ، وحج بالناس تلك السنة سنة أربعين ، المغيرة بن شعبة من غير أن يؤمره أحد ، وكان بالطائف ، قال :

وسلم الأمر الحسن الى معاوية في النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فبايع الناس معاوية حينئذ ، ومعاوية يومئذ ابن ست وستين إلا شهرين .

قال أبو عمر رضي الله عنه :

هذا أصح ما قيل في تاريخ عام الجماعة ، وعليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر ، وكل من قال : إن الجماعة كانت سنة أربعين فقد وهم ، ولم يقل بعلم ، والله أعلم .

ولم يختلفوا أن المغيرة حج عام أربعين على ما ذكر أبو معشر ، ولو كان الاجتماع

---

(١) والكلام عن الصلح وشروطه وما ترتب عليه سيأتي بعد .

على معاوية قبل ذلك لم يكن كذلك ، والله أعلم .

ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية في حياته لا غير ، ثم تكون له من بعده ، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك ، ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها ، وإن كان نفسه أحق بها .

مَع معَاوية

لن يسلك سبيل الطعن على أهل العلم والفضل إلا من ثكل التعظيم من الناس ، وحاول إماتة الرغبات فيه ، تسخطاً على ما يراه من محلهم في قلوب العباد .

ومتى أحب العالم أن تنظر العيون إليه بالإجلال فليقرن بعلمه القناعة والزهد ، ومهما فعل ذلك فقد صار مصباحاً يقتدى به في ظلمات الشبهات .

وإمامنا الكيس الفطن ، ابن رسول الله ﷺ ، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما بويع بالخلافة بعد موت أبيه، بلغ خبر مبايعته معاوية، كما سبق أن ذكرنا.

وقبل أن نخوض فيما خاض فيه من قبلنا ، ونقول :

لأغراض شخصية ، وأطماع نفسية ، وحرصاً على الرياسة ، وحباً في الجاه والسلطان ، مما كان يتسم به سيدنا معاوية ، كواحد غير معصوم ، من بني البشر ، له آماله وأطماعه ، فإننا نقول :

استجابة لقدر الله تعالى ، وتنفيذاً لقضائه سبحانه ، وتحقيقاً لإخباره ﷺ : بالمعجزة ، معجزة :

«الخلافة بعدي ثلاثون سنة» نقول:

فكر معاوية وقدر ، ودبر أموره ، ورتب شئونه ، وجهز عتاده وعدته ، لنيل شرف الخلافة حسبما اعتقد[1] .

ونقول : استجابة لقدر الله تعالى ، وتنفيذا لقضائه ، وتحقيقاً لإخباره ﷺ بالمعجزة معجزة :

«الخلافة بعدي ثلاثون سنة» فكر معاوية وقدر.. اليخ.

لأن كلًّا منا عرف ويعرف ، أنه صلوات الله وسلامه عليه ـ وهو الناطق المعصوم ، والصادق الأمين ـ لا ينطق إلا عن وحي ، ولا يخبر إلا عن حق وصدق ، فإخباره : التزام وإعجاز، وبيانه : إتيان وإقرار.

﴿ وَمَآ أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[2] .

وقد آتانا صلوات الله وسلامه عليه وأخبرنا ، أن الخلافة بعده ثلاثون سنة ، فقط ، فلا تكون معجزة له ﷺ ، إلا بصدق مدتها ، ولا يتحقق صدقها إلا بإثبات دقة وقتها .

---

(١) ونقصد بقولنا حسبما أعتقد ، ما توضحه لنا هذه الواقعة :

كتب الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه ، الى معاوية قائلًا له :

« اتق الله ، ودع البغي ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به .

فادخل في السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ...

فأجابه معاوية رضي الله عنه قائلًا :

« لو علمت أنك أضبط مني للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال وأكيد للعدو ، لأجبتك الى ما دعوتني إليه ولكن : قد علمت أني أطول منك ولاية ، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة ، وأكثر منك سياسة ، وأكبر منك سناً ، فانت أحق أن تجيبني الى هذه المنزلة التي سألتني ، فادخل في طاعتي ، ولك الأمر بعدي ... » أهـ .

(٢) الحشر آية : ٧ .

ومدة الخلافة بعد انتقاله ﷺ الى الرفيق الأعلى ، ومنذ أن تولاها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه من بعده ، ثم تولاها سيدنا عمر ، ثم سيدنا عثمان ، ثم سيدنا علي رضي الله عنهم حتى آخر لحظة من حياة الإمام علي كرم الله وجهه ، هي تسع وعشرون سنة وبضعة أشهر حسبما انتهى إليه أهل الإثبات والتاريخ ، والمدة التي قضاها الإمام الحسن حتى وقت صلحه وتنازله ، هي تتمه[1] : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » وهذه واحدة .

الثانية : نقول أيضاً:

استجابة لقدر الله تعالى ، وتنفيذاً لقضائه ، وتحقيقاً لإخباره ﷺ بالمعجزة معجزة :

«إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فكر معاوية ، وقدر ، ودبر أموره ورتب شئونه وجهز عتاده وعدته لنيل شرف الخلافة حسبما اعتقد .

فقد ثبت في الصحيح من السنة النبوية الشريفة ، كما أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال :

رأيت النبي ﷺ على المنبر ، والحسن بن علي الى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ، ويقول :

«إن ابني هذا سيد، ولعل الله عز وجل، أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» .

فقد أخبرنا صلوات الله وسلامه عليه ، أن الحسن سيد ، وسيصلح الله به بين

---

(١) يقول ابن خلكان : (وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه) .

« وكانت مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام » أهـ .

فئتين عظيمتين ، من المسلمين .

فلو لم نقل : استجابة لقدر الله تعالى ، وتنفيذاً لقضائه سبحانه ، وتحقيقاً لإخباره ﷺ ، بالمعجزة ، معجزة :

«أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فكر معاوية وقدر. . . الخ فما كنا نقول. . ؟

أكان لنا أن نقول : كان ينبغي للإمام الحسن رضي الله عنه ، ألا يتنازل ، أو بتعبير آخر ، كان ينبغي له أن يعقد العزم ، ويؤكد النية على خوض معركة ، لا يدري ما الله فاعل بها ، ويتمسك بالخلافة مهما ترتب على ذلك من إراقة الدماء ، وقتل الأرواح ، وتخريب البلاد والعباد ، مع علمه رضي الله عنه ، أن الأمور لن تهدأ ، ولن تستقر ، إلا بعد أن تهريق فئة منهما دم الفئة الأخرى . . ؟

معاذ الله أن يكون ذلك ممن أخبر عنه رسول الله ﷺ ، أنه سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

إننا لو قلنا ذلك ، أو حدث هذا من الإمام الحسن لترتب عليه ما ينافي الصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ولو حدث ما ينافي الصلح ـ ولن يحدث ـ للزم على ذلك وقوع الخلل في أخبار الصادق المعصوم ، وهذا لا يتفق مع صدقه وعصمته صلوات الله وسلامه عليه .

إذاً فما بقي لنا إلا أن نقول ما قلناه :

استجابة لقدر الله تعالى ، وتنفيذاً لقضائه سبحانه ، وتحقيقاً لإخباره ﷺ بالمعجزة ، فكر معاوية وقدر ،، ودبر أموره ، ورتب شئونه ، وجهز عتاده وعدته ، لنيل شرف الخلافة حسبما اعتقد .

وبهذا القول نود الاقتداء بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه ، حينما سئل عن الخوض في هذا فقال :

« دماء طهر الله منها سيوفنا ، فلا بد وأن نطهر منها ألسنتنا » اهـ .

ونعود فنقول :

فكر معاوية وقدر ، ورتب أمره ، وكتم سره ، ثم أنفذ رجلاً ـ بعد بلوغه خبر مبايعة الإمام الحسن ـ من حمير الى الكوفة ، ورجلاً آخر من بني القين الى البصرة ، ليطالعاه بالأخبار ويكتبان إليه بما يؤول إليه الأمر .

فدل الإمام الحسن على الحميري ، عند لحام جرير ، ثم دل رضي الله عنه ، على القيني بالبصرة ، في بني سليم ، فأخذا ، وقتلا .

ثم كتب الحسن رضي الله عنه الى معاوية :

أما بعد : فإنك دسست الرجال للاختبار ، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء ، وما أشك في ذلك ، فتوقعه إن شاء الله تعالى .

فسار معاوية الى العراق وتحرك الحسن ، وبعث حجر بن عدي واستنفر الناس للقتال فتثاقلوا عنه ، ثم ساروا معه أخلاط من الناس بعضهم من شيعته وشيعة أبيه .

وبعضهم الذين يودون قتال معاوية بكل حال .

وبعضهم أصحاب طمع في الغنائم .

وبعضهم أصحاب عصبة اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون الى شيء ، ثم سار حتى نزل ساباط دون القنطرة وبات هناك ، فلما أصبح أراد رضي الله عنه ، أن يمتحن أصحابه ويختبر أحوالهم في طاعته ، ليتبين أولياءه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية ، فأمر أن ينادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد المنبر فخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق وأئتمنه على الوحي ﷺ أما بعد :

فوالله أني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلق الله تعالى بخلقه ، وما أصبحت محتملاً على أمر مسلمٌ ضغينة ، ولأمر بدا له بسوء ولا غائلة، وأن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، وأنا ناظركم ولأنفسكم فلا تخالفوا أمري ، ولا تردوا عليَّ رأيي .

غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضى ، ناظر لما فيه مصالحكم والسلام .

قال : فنظر الناس بعضهم الى بعض وقالوا :

ما ترونه يريد ؟

قالوا : نظن أنه يريد الصلح مع معاوية ، ويسلم إليه الأمر .

وبلغ الحسن رضي الله عنه ذلك وتحقق فساد نيات أكثر أصحابه وخذلانهم له ولم يبق معه من تؤمن غائلته إلا خاصة شيعته وشيعة أبيه ، وهم جماعة لا يقومون بحرب أهل الشام ، فكتب الى معاوية في الهدنة والصلح .

فأجابه الى ذلك وأنفذ إليه كتب أصحابه الذين ضمنوا له الفتك به وتسليمه اليه ، وبعد إجابة معاوية الى الصلح اشترط عليه الحسن رضي الله عنه شروطاً كثيرة كان في الوفاء بها مصالح شاملة .

منها أن لا يتعرض عماله الى سب أمير المؤمنين علي على المنابر ، ولا ذكره بسوء وأن يؤمن شيعته . وأن لا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل كل ذي حق حقه .

وأخرج أشعث بن سوار بسنده قال قال عمرو بن ثابت :

كنت اختلف الى أبي إسحاق سنة أسأله عن خطبة الحسن بن علي رضي الله عنه ، فلا يحدثني بها ، فدخلت إليه في يوم شات وهو في الشمس وعليه برنسه ، فقال لي : من أنت . . ؟

فأخبرته : فبكى وقال : كيف أبوك .. ؟ كيف أهلك .. ؟

قلت : صالحون .

قال : في أي شيء تتردد منذ سنة .. ؟

قلت : في خطبة الحسن بن علي رضي الله عنه ، بعد وفاة أبيه ، فقال لي :

خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال :

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ وآله فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجه برايته فيكتنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع . وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه ، ثم قال :

أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ﷺ ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي الى الله عز وجل بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول :

﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾ .

فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

ثم قام ابن عباس رضي الله عنه ، بين يديه ، فدعا الناس الى بيعته فاستجابوا له ، وقالوا : ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه ، ثم نزل عن المنبر .

ودس معاوية رجلاً من بني حمير الى الكوفة ، ورجلا من بني القين الى البصرة يكتبان إليه بالأخبار ، فدل على الحميري عند لحام جرير ، ودل على القيني بالبصرة في بني سليم فأخذا وقتلا .

وكتب الحسن الى معاوية : أما بعد :

فإنك دسست إليَّ الرجال كأنك تحب اللقاء ، وما أشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله تعالى ، وقد بلغني أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى .

فأجابه معاوية قائلاً :

أما بعد : فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ولم أحزن ولم أشمت ولم آس . أهـ .

فكتب الحسن رضي الله عنه الى معاوية مع جندب بن عبد الله الأزدي :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله الحسن أمير المؤمنين الى معاوية بن أبي سفيان :

سلام عليك : فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ومنة على المؤمنين ، وكافة الى الناس أجمعين .

لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين .

فبلغ رسالات الله ، وقام على أمر الله ، حتى توفاه الله ، غير مقصر ولا وان ، حتى أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، ونصر به المؤمنين ، وأعز به العرب ، وشرف به قريشاً خاصة ، فقال تعالى :

﴿ وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ولِقَوْمِكَ ﴾ .

فلما توفي ﷺ تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش :

نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ، ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد في الناس وحقه .

فرأت العرب أن القول كما قالت قريش ، وأن الحجة في ذلك على من نازعهم أمر محمدﷺ فأزعنت لهم العرب وسلمت ذلك .

ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب ، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها ، أنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج ، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه الى محاجتهم وطلب النصف منهم ، باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا ، والعنت منهم لنا ، فالموعد الله وهو الولي النصير .

وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا ، وسلطان نبيناﷺ ، وإن كانوا ذوي فضيلة سابقة في الإسلام فأمسكنا عن منازعتهم على الدين ، أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به ، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساد .

فاليوم فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، ولا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول اللهﷺ ، ولكن الله خيبك ، وسترد فتعلم لمن عقبي الدار ، تالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد .

إن علياً ـ رضوان الله عليه ـ لما مضى لسبيله يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً ـ ولأني المسلمون الأمر بعده ، فاسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده ، من كرامته .

وإنما حملني على الكتاب إليك الأعذار فيما بيني وبين الله سبحانه وتعالى ، في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم ، وللمسلمين فيه صلاح ، فدع التمادي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي ، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله ، وعند كل أواب حفيظ ، ومن له قلب منيب .

واتق الله ، ودع البغي ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله ما لك من خير في أن

تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، فادخل في السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطفىء الله الثائرة بذلك ، وتجمع الكلمة ، وتصلح ذات البين .

وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيك نهدت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . .

فكتب إليه معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله أمير المؤمنين الى الحسن بن علي ، سلام عليك . .

فإني أحمد إليك الله ، الذي لا إله إلا هو .

أما بعد . .

فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به رسول الله ﷺ ، من الفضل ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله ، قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، فقد والله بلغ فأدى ، ونصح وهدى ، حتى أنقذ الله به من التهلكة ، وأنار به من العمى ، وهدى به من الضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته ، وصلوات الله عليه ، يوم ولد ، ويوم قبض ، ويوم يبعث حياً . .

وذكرت وفاة النبي ﷺ ، وتنازع المسلمين من بعده ، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وحواري الرسول ﷺ ، وصلحاء المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، فإنك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ولا المسيء ، ولا اللئيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر الجميل .

ان هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها ، لم تجهل فضلكم ، ولا سابقتكم ، ولا قرابتكم من النبي ، ولا مكانتكم في الإسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها .

ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم ، من سائر الناس

وعلمتهم ، أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً ، وأعلمها بالله وأحبها له ، وأقواها على أمر الله .

واختاروا أبا بكر ، وكان في ذلك رأي ذوي الحجى ، والدين ، والفضيلة ، والناظرين للأمة .

فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة ، ولم يكونوا بمتهمين ، ولا فيما أتوا بمخطئين .

ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه ، أو يقوم مقامه ، أو يذب عن حريم المسلمين ذبه ، ما عدلوا بذلك الأمر الى غيره ، رغبة عنه ، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله ، فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً .

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح ، والحال فيما بيني وبينك اليوم ، مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي ﷺ .

ولو علمت أنك أضبط مني للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو لأجبتك الى ما دعوتني إليه ، ورأيتك لذلك أهلاً ، ولكني قد علمت أني أطول منك ولاية ، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة ، وأكثر منك سياسة ، وأكبر منك سناً ، فأنت أحق أن تجيبني الى هذه المنزلة التي سألتني ، فادخل في طاعتي :

ولك الأمر من بعدي .

ولك في بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ ، تحمله الى حيث أحببت .

ولك خراج أي كور العراق شئت ، معونة لك على نفقتك يجبيها لك أمينك ، ويحملها إليك في كل سنة .

ولك ألا يستولى عليك بالإساءة .

ولا تقضى دونك الأمور .

ولا تعص في أمر أردت به طاعة الله عز وجل .

أعاننا الله وإياك على طاعته ، إنه سميع مجيب الدعاء والسلام . .

قال جندب :

فلما أتيت الحسن بن علي بكتاب معاوية قلت له :

إن الرجل سائر ، فابدأ أنت بالمسير ، حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله فأما أن تقدر أنه يتناولك فلا والله حتى يرى يوماً أعظم من يوم صفين .

فقال : أفعل ، قعد عن مشورتي وتناسى قولي . . ؟

قال : وكتب معاوية الى الحسن بن علي :

«بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد : فإن الله عز وجل يفعل في عباده ما يشاء .

لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

فأحذر أن تكون منيتك على يد رعاع من الناس ، وايئس من أن تجد فينا غميزته ، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني ، وفيت لك بما عدت وأجزيت لك ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال : أعشى بني قيس ابن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانة
فأوف بها تدعى إذا مت وافيا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى
ولا تجفه إن كان في المال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها ، والإسلام». أهـ .

فأجابه الحسن بن علي رضي الله عنه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد :

وصل الي كتابك تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك خشية البغي عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أني من أهله ، وعلى إثم أن أقول فأكذب ، والسلام . . . » .

فلما وصل كتاب الحسن الى معاوية قرأه ثم كتب الى عماله على النواحي نسخة واحدة :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من معاوية أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ، ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد :

فالحمد لله الذي كفاكم ، مؤنة عدوكم وقتلة خليفتكم ، إن الله بلطفه وحسن صنعه ، أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم ، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فاقبلوا الى حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم وحسن عدتكم ، فقد أصبت بحمد الله الثأر ، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

فاجتمعت العساكر الى معاوية بن أبي سفيان وسار قاصداً الى العراق ، وبلغ الحسن خبر مسيره ، وأنه بلغ جسر منبج فتحرك لذلك ، وبعث حجر بن عدي يأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادي :

« الصلاة جامعة فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون » .

فقال الحسن رضي الله عنه :

إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني .

وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال :

اخرج ، فأخرج الحسن رضي الله عنه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمـا بـعد : فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها . . .

ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : واصبروا إن الله مع الصابرين .

فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ، إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك فاخرجوا ـ رحمكم الله ـ الى معسكَركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ، ونرى وتروا . .

قال : وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس إياه .

قال : فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف .

فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قال :

أنا ابن حاتم ، سبحان الله ، ما أقبح هذا المقام ، ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم أين خطباء مصر ؟ أين المسلمون ؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة ، فإذا جد الجد فراوغوا كالثعلب ، أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها . . ؟

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال :

أصاب الله بك المراشد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما يحمد ورده وصدره ، فقد سمعنا مقالتك ، وانتهينا الى أمرك ، وسمعنا منك وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وجهي الى معسكري ، فمن أحب أن يوافيني فليوافي ، ثم مضى لوجهـه ، فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ، ومضى الى النخيلة وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه ، وكان عدي أول الناس عسكراً . .

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصـاري ، ومعقل بـن قيس الرياحـي ،

وزياد بن صعصعة التيمي ، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم وكلموا الحسن بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول .

فقال لهم الحسن رضي الله عنه :

صدقتم ، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيراً ثم نزل . . .

وخرج الناس ، فعسكروا ونشطوا للخروج ، وخرج الحسن الى معسكره واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأمره باستحثاث الناس وأشخاصهم إليه ، فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى التأم العسكر . . .

ثم سار الحسن بن علي رضي الله عنه ، في عسكر عظيم وعدة حسنة ، حتى أتى دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس ، دعا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فقال له :

يابن عم ، إني باعث معك اثنى عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء المصر ، الرجل منهم يزن الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك ، وابسط وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وادنهم من مجلسك فإنهم بقية أمير المؤمنين رضي الله عنه ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ثم تصير الى مسكن ، ثم امض حتى تستقبل معاوية ، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني في أثرك وشيكاً ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، وشاور هذين ـ يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس ـ فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وإن أصيب قيس ، فسعيد بن قيس على الناس ، ثم أمره بما أراد . .

وسار عبيد الله بن العباس حتى انتهى الى شينور حتى الى شاهي ، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى أتى مسكن . .

وأخذ الحسن رضي الله عنه ، على حمام عمر حتى دير كعب ثم بكر فنزل ساباط

دون القنطرة ، فلما أصبح نادى في الناس :

الصلاة جامعة فاجتمعوا وصعدوا المنبر فخطبهم ، فحمد الله فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالحق ، وائتمنه على الوحي ، ﷺ .

أما بعد : فوالله إني لأرجو أن يكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلق الله لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً سوءاً ولا عائلة .

ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة .

ألا وأني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمري ، ولا تردوا عليَّ رأيي ، غفر الله لي ولكم وأرشدني لما فيه المحبة والرضا . . .

فنظر الناس بعضهم الى بعض ، قالوا :

ما ترونه ، يريد بما قال ؟

قالوا : نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه .

فقالوا : كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه ، حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعل الأزدي فنزع مطرقه عن عاتقه ، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء ، ثم دعا بفرسه فركبه ، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا من أراده ، ولاموه وضعفوه لما تكلم به .

فقال : ادعوا لي ربيعة وهمدان فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم ، فقام إليه رجل من بني أسد من بني نضر بن قين ، يقال له الجراح بن سنان فلما مر في مظلم ساباط قام إليه فأخذ لجام بغلته وبيده معول فقال :

الله أكبر ، يا حسن أشركت كما أشرك أبوك من قبل ، ثم طعنه فوقعت الطعنة في فخذه فشقته حتى بلغت أربتيه فسقط الحسن الى الأرض ، بعد أن ضرب الذي

طعنه بسيف كان بيده واعتنقه وخرا جميعاً الى الأرض ، فوثب عبد الله بن الخطل فنزع المعول من يد جراح بن سنان فخضخضه به ، وأكب ظبيان بن عمارة فقطع أنفه ، ثم أخذوا الأجر فشدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه . . .

وحمل الحسن على سرير الى المدائن ، وبها سعد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله ، وكان علي ولاه فأقره الحسن بن علي فأقام عنده يعالج نفسه . . .

ثم أن معاوية وافى حتى نزل قرية يقال لها الحيوضية بمسكن ، فأقبل عبد الله بن العباس حتى نزل بازائه ، فلما كان من سد وجه معاوية بخيله إليه ، فخرج إليهم عبيد الله بن العباس فيمن معه ، فضربهم حتى ردهم الى معسكرهم ، فلما كان الليل أرسل معاوية الى عبيد الله بن العباس وقال له :

إن الحسن قد أرسلني في الصلح ، وهو مسلم الأمر الي فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم ، ويعجل لك في هذا الوقت النصف ، وإذا دخلت الكوفة ، النصف الآخر ، فدخل ابن عباس عسكر معاوية فوفى له بما وعد ، فأصبح الناس ينتظرون أن يخرج ، فيصلي بهم فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة :

فتنادى الناس : الحمد لله الذي أخرجه من بيننا فانهض بنا الى عدونا فنهض بهم . .

وخرج إليهم بسر بن أرطأة في عشرين ألفاً فصاحوا بهم :

هذا أميركم قد بايع ، وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم . . ؟

فقال لهم قيس بن سعد بن عبادة :

اختاروا إحدى اثنتين : إما القتال مع غير إمام ، أو تبايعون بيعة ضلال ؟

فقالوا : بل نقاتل بلا إمام ، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم الى مصافهم . .

وكتب معاوية الى قيس يدعوه ويمنيه فكتب إليه قيس :

لا والله لا تلقني أبداً إلا وبيني وبينك الرمح . .

وبعث معاوية عبد الله بن عامر ، وعبد الرحمن بن سمرة الى الحسن للصلح ، فدعواه إليه ، وزهداه في الأمر وأعطياه ما شرط لمعاوية ، وألا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة علي بمكروه ، ولا يذكر إلا بخير وأشياء أخرى اشترطها الحسن رضي الله عنه ، فأجابه الحسن الى ذلك ، وانصرف قيس فيمن معه الى الكوفة وانصرف الحسن إليها أيضاً .

وأقبل معاوية قاصداً الى الكوفة واجتمع مع الحسن وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين علي يلومونه ويبكون إليه جزعاً مما فعله . . .

الصلح وشروطه وما ترتب عليه

من الناس من إذا ولي عزلته نفسه .

ومنهم من إذا عزل ولاه فضله .

وإيقاع الصلح بين المتخاصمين من أوكد عزائم الدين .

فإن كان العقل المختص بالجوهر الإنسي هو أن يعرف الحق ، ويعمل بما يوافق الحق ، فمن الواجب أن يكون أكمل الناس أغزرهم عرفاناً للحق وأقدرهم على العمل بما يوافق الحق .

وأرذل الناس أغزرهم معرفة بالحق ، وأعجزهم عن العمل بما يوافق الحق .

والعدل ما هو صواب وحسن ، وهو نقيض الجور والظلم .

والله سبحانه وتعالى أمر الإنسان بالعدل فيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين ربه ، وفيما بينه وبين الخلق .

فالعدل الذي بينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها ، وكمال عدله معها ، حرمانها مما فيه طمعها ، قال تعالى :

﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ .

والعدل الذي بينه وبين ربه إيثار حقه تعالى على حظ نفسه ، وتقديم رضا مولاه على كل من سواه ، والتجرد عن جميع المزاجر ، وملازمة جميع الأوامر .

والعدل الذي بينه وبين الخلق ، يكون ببذل النصيحة ، وترك الخيانة ، فيما قل أو كثر ، والإنصاف بكل وجه وألا يسيء الى أحد بالقول أو بالفعل ، ولا بالهم أو العزم .

وإمامنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، عرف الحق ، وعمل بما يوافق الحق ، حتى كان بعمله وصلحه أكمل الناس عرفاناً للحق ، وأقدرهم على العمل بما يوافق الحق .

روى ابن سعد عن أبي جميلة أن الحسن لما استخلف حين قتل علي رضي الله عنه :

بينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل من بني أسد وهو ساجد فطعنه بخنجر ، ويزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهراً ثم لما برىء قعد على المنبر فقال :

يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم الذين قال الله عز وجل فيهم :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

قال : فما زال يقول ذلك حتى ما أرى أحداً من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاء .

قال هلال : فما سمعت يوماً قط أكثر باكياً ومسترجعاً من يومئذ .

وجمع يوماً رؤساء أهل العراق في قصره الذي في المدائن ثم قال :

يا أهل العراق لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث لذهلت :

مقتلكم أبي ، وطعنكم إياي ، واستلابكم ثقلي وإزاري عن عاتقي ، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت ، وتحاربوا من حاربت ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا ، ثم قام فدخل القصر وأغلق الباب دونهم .

وقال الحسن البصري : استقبل الحسن معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص :

إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها .

فقال له معاوية :

أي عمرو ، إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، من لي بأمور المسلمين ؟ من لي بنسائهم ؟ من لي بضيعتهم .

فبعث إليه برجلين من قريش من بني شمس، وهما عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر.

فقال : اذهبا الى هذا الرجل فأعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه فأتياه فدخلا عليه فتكلما .

فقال ، وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن :

إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاشت في دمائها .

قال : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك .

قال : فمن لي بهذا .

قالا: نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه.

قال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول :

رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن الى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه أخرى ، ويقول :

« إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وحكى الزهري أن الحسن لما طعن كاتب معاوية وأرسل يشرط شرطه وقال :

إن أعطيتني هذا فإني سامع مطيع وعليك أن تفي به .

وأرسل إليه معاوية بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه أن اشترط في هذه ما شئت ، فما اشترطت فهو لك ، فلما أتت حسناً أخذ يشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك ، وأمسكها عنده ، وأمسك معاوية صحيفة الحسن التي كتب بها إليه يسأله ما فيها ، فلما التقيا وبايعه الحسن سأله أن يعطيه الشروط التي اشترط في السجل الذي ختم معاوية على أسفله ، فأبى أن يعطيه ذلك ، وقال :

لك الذي كنت كتبت به إلي .

فقال له : وأنا قد اشترطت عليك حين جاءني وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه .

فاختلفا في ذلك ، ولم ينفذ للحسن من الشروط شيئاً يعني من سجل معاوية .

واجتمع الناس بعد قتل علي رضي الله عنه عند الحسن بالمدائن فخطبهم ، وحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد : فإن كل ما هو آت قريب ، وإن أمر الله واقع إذ ما له من دافع ، وإني والله ما أحببت أن لي من أمر أمة محمد ﷺ ما يزن حبة خردل يهراق فيها محجمة من دم ، فقد عقلت ما ينفعني مما يضرني ، فالحقوا بطيئكم ، ثم قال :

إن أكيس الكيس التقي ، وإن أحمق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية أما أن يكون أمراً كان أحق به مني ، أو كان حقاً لي فتركته التماساً لصلاح أمر هذه الأمة .

﴿وَإِنْ أَدْرِي لعلّهُ فتنةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ﴾ .

وفي رواية الزبير بن بكار أنه خطب بعد الصلح فقال :

أيها الناس ان الله هدى أولكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، وقد كانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت ، وتسالمون من سالمت ، وقد سالمت معاوية :

﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إِلىٰ حِينٍ ﴾[1] .

وأشار بيده الى معاوية .

وفي لفظ أنه قال :

إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث ، وأنا أصلحت آخره لذي حق أديت إليه حقه أحق به مني ، أو حق حدث به إصلاح أمة محمد ﷺ ، وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أو لشر يعلمه فيك .

وروى ابن سعد أن معاوية لما دخل الكوفة وبايعه الحسن ، قال له عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة أو أمثالهما من أصحابه :

إن الحسن رضي الله عنه مرتفع في أنفس الناس ، لقرابته من رسول الله ﷺ ، وأنه حديث السن عيي ، فمره فليخطب ، فإنه يسفي في الخطبة فيسقط من أنفس الناس ، فأبى عليهم فلم يزالوا به حتى أمره ، فقام الحسن على المنبر دون معاوية وقال :

والله لو ابتغيتم ما بين جابلق وجابرس رجلاً جده نبي غيري وغير أخي لم تجدوه ، وإنا قد أعطينا بيعتنا معاوية ، ورأينا إن حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أدري :

﴿ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ ﴾ .

---

(١) الحج آية : ١١١ .

فقـال : أردت بهـا ما أراد الله بهـا ، فقـال هودة جابلـق وجابـرس المشرق والمغرب .

وفي رواية أنه قال :

أما بعد : فإن علياً لم سبقه أحد من هذه الأمة من أولها بعد نبيها ، ولن يلحق به أحد من الآخرين منهم ثم وصله بقوله الأول .

وفي رواية أن الحسن لما خطب جعل يخفض من صوته ، فقال له معاوية :

أسمعنا فإنا لا نسمع ، فرفع صوته .

فقال له معاوية : هكذا نعم كأنه يأمره بالخفض ، فأبى الحسن وجعل يرفع صوته .

وفي رواية : أن الحسن قال أثناء خطبته :

إن لهذا الأمر مدة ، وإن الدنيا دول وإن الله تعالى قال :
﴿ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيْدَ مَا تِوعَدُونَ . إِنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ مِنَ القَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكَتْمُوْنَ . وإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمَ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .
فلما قالها اخلسه معاوية ، فقام فخطب فلم يزل ضرماً على عمرو ، وقال : هذا من فعل رأيك ؟

فقال الحسن رضي الله عنه : لا أقاتل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت النبي ﷺ ، واضعاً يده على أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعاً يده على عمر ، ورأيت دماً دونهم ، فقيل هذا دم عثمان ، والله تعالى يطلب به .

وروى الخطيب عن أبي العريف قال : كنا مقدمة الحسن بن علي اثنتا عشر ألفاً يمكن مستميتين تقطر أسيافنا من الجد على قتال أهل الشام وعلينا أبو العمر طه ، فلما صالح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ ، فقال له مالك بن ضمرة :

يا مسود وجوه المسلمين .

فقال له : لا تقل ذلك إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض ، فأردت أن يكون للدين في الأرض ناعي .

فقال بأبي أنت وأمي « ذرية بعضها من بعض » .

ومجمل القول كما ذكره ابن كثير :

بعث الحسن بن علي الى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع ، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك ، وخرج عن طاعتهما جميعاً ، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريب .

ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين ، ولهذا يقال له عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية .

والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير ، قال ابن جرير :

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بليلياء ـ يعني لما مات علي ـ قام أهل الشام فبايعوا معاوية على أمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع ، فعند ذلك أقام اهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام ، فلم يتم لهم ما أرادوه ، وما حاولوه ، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم ، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم ، من مبايعتهم ابن بنت رسول الله ﷺ ، وسيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم ، والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين : الحديث الذي اوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال :

«الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً».

وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ ،

فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة ، صلوات الله وسلامه عليه ، وسلم تسليماً .

وقد مدحه رسول الله ﷺ ، على صنيعه هذا ، وهو تركه الدنيا الفانية ، ورغبته في الآخرة الباقية ، وحقنه دماء الأمة ، فنزل عن الخلافة ، وجعل الملك بيد معاوية ، حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد .

وهذا المدح قد ذكرناه في حديث أبي بكرة الثقفي ، وهو أن رسول الله ﷺ ، صعد المنبر يوماً ، وجلس الحسن بن علي الى جانبه ، فجعل ينظر الى الناس مرة ، وإليه أخرى ثم قال :

«أيها الناس إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمسن»[(١)] .

وتحقق الإعجاز النبوي الكريم ، وصدق إخبار سيدنا رسول الله ﷺ ، أن الحسن سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، وانعقدت جلسة الصلح على الشروط التالية :

شروط الإمام الحسن:

كتب الإمام الحسن رضي الله عنه ، وكان اذ ذاك بمسكن :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي ، معاوية بن أبي سفيان : صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين :

١ ـ على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ، وسيرة الخلفاء الصالحين .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

٢ ـ ليس لمعاوية أن يعهد لأحد عهداً ، بل تكون الخلافة للحسن من بعده ، أو يكون الأمر شورى بين المسلمين[١] .

٣ ـ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى ، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم .

٤ ـ أن يترك سب علي وأن لا يذكره إلا بخير .

٥ ـ أصحاب علي آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا ، فلا يتعرض لأحد منهم بسوء .

٦ ـ أن لا يبتغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سراً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق .

٧ ـ أن يوصل لكل ذي حق حقه .

٨ ـ أن يوفر للحسن حقا قدره خمسون مليون درهم (٥٠ ألف ألف) في كل سنة .

٩ ـ أن يقضي له جميع ديونه .

١٠ ـ أن لا يطالب أهل الحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه.

١١ ـ أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة ملايين درهم (خمسة آلاف ألف) .

١٢ ـ أن يكون له خراج دار أبجرد بفارس ، أو كورين من كور البصرة .

وعلى معاوية بذلك ، عهد الله وميثاقه ، وشهد عليها عبد الله بن الحارث ، وعمرو بن سلمة وغيرهما ، وكفى بالله شهيداً .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢) وهذا الشرط هو الشرط الذي لم يوف به معاوية فيما بعد حيث أنه أوصى بالخلافة من بعده لابنه يزيد على الرغم مما عليه من أحوال لا تتفق وشأن خلافة المسلمين وإمامتهم.

شروط معاوية :

١ ـ لك الخلافة من بعدي فأنت أولى الناس بها ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله وأشد ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد .

٢ ـ لك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ ، تحمله الى حيث شئت .

٣ ـ لك خراج أي كور العراق شئت ، معونة على نفقتك ، يجيبها أمينك ، ويحملها إليك كل سنة .

٤ ـ أن لا يستولي عليك بالإساءة ، ولا أبغيك غائلة ولا مكروهاً .

٥ ـ لا تقضي دونك الأمور .

٦ ـ لا تعصي في أمر أردت فيه طاعة الله .

٧ ـ أن لا يتبع في أمر أردت فيه طاعة الله .

٧ ـ أن لا يتبع أحداً بما مضى بالسب أو القذف .

٨ ـ لا ينال أحداً من أتباع علي بمكروه .

٩ ـ لا يذكر علي إلا بخير .

١٠ ـ الولاية للحسين إن حدث بنا حدث .

١١ ـ لك خراج دار الحرب من أرض فارس ، وخراج أبجرد أيضاً .

١٣ ـ ولك في كل سنة خمسون مليون درهم (خمسون ألف ألف).

وفي رواية أخرى لغيره :

إن الحسن توجه الى حرب معاوية في أربعين ألفاً ، فلما تراء الجمعان ، علم الحسن ، إنه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى ، فكتب الى معاوية أنه :

أن يجعل له الأمر من بعده .

وأن لا يطلب أحداً من أهل العراق والمدينة والحجاز بشيء مما كان في أيام أبيه .

وعلى أن يقضي عنه ديونه ، ثم الصلح بيننا .

وأشكل الأمر بين الطرفين في عشر نقط ، لم تزل محل المفاوضة بين الطرفين ، ثم فاجأ معاوية الخليفة الحسن فبعث إليه برق أبيض عليه طابع الخلافة قائلاً له فيه :

اكتب ما شئت فإني ألتزمه .

وقد نص بعض المؤرخين على صورة كتاب ما كتبه الإمام الحسن لمعاوية ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على :

أن يسلم إليه ولاية المسلمين ، على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ ، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين .

وليس الى معاوية بن أبي سفيان أن يعهد الى أحد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين .

وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى ، في شامهم ، وعراقهم ، وحجازهم .

وعلى أن أصحاب علي آمنون على أنفسهم ، وأموالهم ، ونسائهم ، وأولادهم ، حيث كانوا .

وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه .

وأن لا يبتغي للحسن بن علي ، ولا لأخيه الحسين ، ولا أحد من بيت رسول الله ﷺ غائلة سراً ولا جهراً ، لا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق .

أشهد عليه به : « فلان وفلان ، وكفى بالله شهيداً » ، أهـ .

ولما تم الصلح بشروطه برز الحسن بين الصفين وقال :

إني قد اخترت ما عند الله ، وتركت هذا الأمر لمعاوية ، فإن كان لي فقد تركته لله ، وإن كان له ، فما ينبغي لي أن أدعه ، ثم قرأ :

﴿ وإنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إلىٰ حِين ﴾ .

وكبر الناس فرحاً ، واختلطوا من ساعتهم ، وسميت سنة الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين .

وتنازل الإمام الحسن بعدما تم الصلح بين الطرفين ، وعقد الاتفاق بينهما على الغرض منه ، والتزم معاوية العمل ببنوده ، ثم التمس معاوية من الحسن رضي الله عنه ، أن يتكلم في جموع الناس ويعلمهم أنه قد سلم الأمر وبايع لمعاوية على شروط رآها ـ وتلى النص ـ مصالحة لجمع كلمة المسلمين .

فأجابه الحسن الى ذلك ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه محمد ﷺ وقال :

أيها الناس إن أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق الفجور ..

الى أن قال :

« قد علمتم أن الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدي رسول الله ﷺ وأنقذكم من الضلالة ، وخلصكم من الجهالة ، وأعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، وأن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه ، فنظرت لصلاح الأمة ، وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني » .

« فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته » .

« ورأيت أن حقن الدماء خير لي من سفكها ، ولم أرد بذلك إلا إصلاحكم وبقاءكم » .

﴿ وإنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إلىٰ حِينٍ ﴾ .

وبعد : فقد أخرج الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي بسنده عن أبي رزق الهمداني ، عن ابي العريف قال :

كنا في مقدمة الحسن بن علي إثنا عشر ألفاً بمسكن مستميتين من الجد على قتال أهل الشام ، وعلينا أبو الغمرطة فلما جاءنا بصلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ .

فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال له رجل منا ، يقال له أبو عامر سعيد بن النتل :

« السلام عليك يا مذل المؤمنين » .

فقال : لا تقل هذا يا عامر لست بمذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك .

ولما تسلم معاوية البلاد ، ودخل الكوفة ، وخطب بها ، واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق ، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب ـ وقد كان عزم على الشقاق ـ وحصل على بيعة معاوية عامئذ الإجماع والاتفاق ، ترحل الحسن بن علي ، ومعه أخوه الحسين ، وبقية أخوتهم وابن عمهم ، عبد الله بن جعفر من أرض العراق الى أرض المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وجعل كلما مر بحي يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية ، وهو في ذلك البار الراشد الممدوح ، وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً ، بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهله ، ولا سيما بعد ذلك بمدد ، وهلم جراً الى يومنا هذا .

والحق أن في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة ، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ ، كما تقدم في الحديث الصحيح ، ولله الحمد والمنة .

من كلامه رضي الله عنه

« يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

الحكمة : موافقة أمر الله تعالى ، والسفه مخالفة أمره ، فالحكمة ، شهود الحق ، والسفه شهود الغير .

والحكمة متابعة الطريق من حيث توفيق الحق ، لا من حديث همة النفس .

والإمام الحسن رضي الله عنه ، له من بلاغة القول ، وفصيح العبارة ، وحسن البيان ما يعده بحق في مقدمة الفضلاء من الحكماء .

أخرج ابن عساكر في تاريخه ، وأبو نعيم في حليته ، وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم :

عن شعبة بن الحجاج الواسطي ، عن أبي إسحاق الهمداني أن علياً رضي الله عنه ، سأل ابنه الحسن رضي الله عنه ، عن أشياء من المروءة فقال :

يا بني ، ما السداد ؟ .

قال : يا أبتي السداد ، دفع المنكر بالمعروف .

قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة .

قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف وإصلاح المرء ما له .

قال : فما الدنيئة ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير .

قال : فما اللؤم ؟ قال : احتراز المرء نفسه وبذله عرسه .

قال : فما السياحة ؟ قال : البذل في العسر واليسر .

قال : فما الشح ؟ قال : أن ترى ما في يديك سرفاً ، وما انفقته تلفاً .

قال : فما الأخاء ؟ قال : الوفاء في الشدة والرخاء .

قال : فما الجبن ؟ قال : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .

قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا .

قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس .

قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم الله لها وإن قل ، فإنما الغنى غنى النفس .

قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس في كل شيء .

قال : فما المتعة ؟ قال : شدة البأس ومقارعة أشد الناس .

قال : فما الذل ؟ قال : الفزع عند المصيبة .

قال : فما الجرأة ؟ قال : موافقة الأقران .

قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعنيك .

قال : فما المجد ؟ قال : أن تعطي في الغرم وأن تعفو عن الجرم . .

قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب كل ما استرعيته .

قال : فما الخرق ؟ قال : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك .

قال : فما الثناء ؟ قال : إتيان الجميل وترك القبيح .

قال : فما الحزم ؟ قال : طول الأناة ، والرفق بالولاة ، والاحتراس من الناس بسوء الظن ، هو الحزم .

قال : فما الشريف ؟ قال موافقة الأخوان ، وحفظ الجيران .

قال : فما السفه ؟ قال : اتباع الدناة ، ومصاحبة الغواة .

قال : فما الغفلة ؟ قال : تركك المسجد ، وطاعتك المفسد .

قال : فما الحرمان ؟ قال : تركك حظك وقد عرض عليك .

قال : فمن السفيه ؟ قال : الأحمق في المال المتهاون بعرضه .

قال : ثم قال علي رضي الله عنه : يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أفضل من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة».

«ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكف، ولا عبادة كالتفكر ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الطرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفحر».

ثم قال علي رضي الله عنه :

يا بني لا تستخفن برجل تراه أبداً .

فإن كان أكبر منك فعده أباك .

وإن كان مثلك فعده أخاك .

وإن كان أصغر منك فاحسب إنه ابنك .

فهذا ما سأل علي ابنه عن أشياء من المروءة[1] .

ثم يعلق القاضي أبو الفرج فيقول :

«ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من رعاه ، وحفظه ووعاه ، وعمل به ، وأدب نفسه بالعمل عليه ، وهذبها بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده » اهـ .

ومن حكمه رضي الله عنه :

أيها الناس إنه من نصح لله وأخذ قولاً دليلاً ، هدى للتي هي أقوم ، ووفقه الله للرشاد ، وسدده للحسنى ، فإن جار الله آمن محفوظ ، وعدوه خائف مخذول ، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر .

واخشوا الله بالتقوى ، وتقربوا الى الله بالطاعة ، فإنه قريب مجيب ، قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ ﴾[2] .

فاستجيبوا لله وآمنوا به ، فانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاظم ، فان رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا ، وعز الذين يعرفون جلال الله أن يتذللوا له ، وسلامة الذين يعلمون ما قدره الله أن يستسلموا له ، ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة ، ولا يضلوا بعد الهدى .

واعلمواعلماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقي حتى تعرفوا صفة الهدى ، ولن تمسكوا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، وسن عساكر في التاريخ، وابن كثير في البداية والنهاية، واليافعي في مرآته.

(٢) البقرة آية : ١٨٦ .

بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه ، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي أنزله ، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ، ورأيتم الفرية على الله والتحريف ، ورأيتم كيف يهوي من يهوي ، ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون ، والتمسوا ذلك عند أهله ، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم .

بهم عيش العلم وموت الجهل ، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم ، وحكم منطقهم عن صمتهم وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، وقد خلت لهم من الله سنة ، ومضى فيهم من الله حكم ، وإن في ذلك لذكرى للذاكرين ، واعقلوه إذا سمعتوه عقل رعايته ، ولا تعقلوه عقل روايته ، فإن رواة الكتاب كثير ، ورعاته قليل ، والله المستعان » أهـ .

وأخرج اليعقوبي في تاريخه بسنده قال :

قال معاوية للحسن رضي الله عنه :

يا أبا محمد ثلاث خلال ما وجدت من يخبرني عنهن ؟

قال : وما هن ؟

قال : المروءة ، والكرم ، والنجدة .

قال أما المروءة : «فإصلاح الرجل أمر دينه ، وحسن قيامه على ما له ، ولين الكف ، وإفشاء السلام ، والتحبب الى الناس .

والكرم : العطية قبل السؤال ، والتبرع بالمعروف ، والإطعام في المحل .

ثم النجدة الذب عن الجار ، والمحاماة في الكريهة ، والصبر عند الشدائد » .

وقال جابر : سمعت الحسن رضي الله عنه يقول :

« مكارم الأخلاق عشر :

صدق اللسان ، وصدق البأس ، وإعطاء السائل ، وحسن الخلق ، والمكافأة

بالصنائع ، وصلة الرحم ، والتذمم على الجار ، ومعرفة الحق للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء .

وقيل للحسن رضي الله عنه :

من أحسن الناس عيشاً ؟

قال : من أشرك الناس في عيشه .

فقيل له : من أشر الناس عيشاً ؟

قال : من لا يعيش في عيشه أحد .

وقال الحسن رضي الله عنه :

فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها وأشد من المصيبة سوء الخلق ، والعبادة انتظار الفرج .

ودعا الحسن بن علي بنيه وبني أخيه فقال :

يا بني وبني أخي :

« إنكم صغار قوم وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين . فتعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه ، وليجعله في بيته » .

وقال رجل للحسن رضي الله عنه : إني أخاف الموت ؟

قال : ذاك ، إنك أخرت مالك ، ولو قدمته لسرك أن تلحق به » .

وقال له معاوية يوماً : ما يجب لنا في سلطاننا ؟ قال ما قال سليمان بن داود .

قال معاوية : وما قال سليمان بن داود ؟

قال : قال لبعض أصحابه :

أتدري ما يجب على الملك في ملكه ، وما لا يضره .

إذا أدى الذي عليه منه ، وإذا خاف الله في السر والعلانية ، وعدل في الغضب والرضى ، وقصد في الفقر والغنى ، ولم يأخذ الأموال غصباً ، ولم يأكلها إسرافاً وبداراً ، لم يضره ما تمتع به من دنياه إذا كان ذلك من خلقه » .

وقال الحسن رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ ، إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها وبميسور من القول .

ومر الحسن رضي الله عنه يوماً وقاص يقص على باب مسجد رسول الله ، ﷺ فقال الحسن : ما أنت ؟

فقال : أنا قاص يا بن رسول الله ﷺ .

قال : كذبت ، محمد القاص ، قال الله عز وجل : ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ .

قال : فأنا مذكر ، قال : كذبت ، محمد المذكر ، قال له عز وجل :

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾[1] .

قال : فما أنا ؟ قال : « المتكلف من الرجال » أهـ.

ومن مواعظه رضي الله عنه :

اعلموا إن الله لم يخلقكم عبثاً ، وليس بتارككم سدى ، كتب آجالكم ، وقسم بينكم معاشكم ، ليعرف كل ذي لب منزلته ، وأن ما قدر له أصابه وما صرف عنه فلن يصيبه ، قد كفاكم مؤونة الدنيا ، وفرغكم لعبادته ، وحثكم على الشكر ، وافترض عليكم الذكر ، وأوصاكم بالتقوى ، وجعل التقوى منتهى رضاه ، والتقوى باب كل توبة ، ورأس كل حكمة ، وشرف كل عمل .

---

(١) الغاشية آية : ٢١

بالتقوى فاز من فاز من المتقين ، قال الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ﴾ .

وقال :

﴿ وَيُنَجِّي ٱللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِم ، لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُم يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ، ويسدده في أمره ويهيىء له رشده ، ويفلحه ويبيض وجهه ويعطيه رغبته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

ومن مواعظه رضي الله عنه أنه كان رضي الله عنه ، يقول :

يا بن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً .

إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ، ويبنون مشيداً ، ويأملون بعيداً ، أصبح جمعهم بوراً ، وعملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً .

يا بن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع .

وكان يتلو هذه الآية بعدها :

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[2]

وقال رضي الله عنه في كلام له :

---

(١) الزمر آية : ٦١ .

(٢) البقرة آية : ١٩٧ .

« أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون » ؟ .

هيهات هيهات ، ذهبت الدنيا بحال بما لها ، وبقيت الأعمال أطواقاً في أعناق بني آدم ، فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ، إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ، وأنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم .

من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً ، لم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه، فالوحا ألوحا ، والنجاء النجاء ، علام تعرجون ؟

أسرع بخياركم ، وأنتم كل يوم ترذلون .

لقد صحبت أقواماً كانت صحبتهم قرة العين ، وجلاء الصدور ، وكانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم .

إني أسمع حسيساً ، ولا أرى أنيساً ، ذهب الناس ، وبقيت النسناس ، ولو تكاشفتم ما تدافنتم ، تهاديتم الأطباق ، ولم تهادوا النصائح ـ يا بن آدم ، أن دين الله ليس بالتحلي ولا بالتمني ، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال » أهـ.

ومن كلامه رضي الله عنه :

« لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل وبالعقل تدرك الدين جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً» أهـ.

وقال رضي الله عنه : هلاك الناس في ثلاث :.

في الكبر ، والحرص ، والحسد .

فالكبر : هلاك الدين ، وبه لعن إبليس.

والحرص : عدو النفس ، وبه أخرج آدم من الجنة .

والحسد : رائد السوء ، ومنه قتل « قابيل هابيل » أهـ.

وقال رضي الله عنه :

« دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك .

فقال لي أتجزع ؟ فقلت وكيف لا أجزع وأنا أراك على هذه الحالة ؟

فقال يا بني : احفظ عني خصالاً أربعاً ، إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة :

يا بني لا غني أكثر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة اشد من العجب ، ولا عيش الذ من حسن الخلق . .

واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الإعطاء ، وتمام الصنيعة خير من ابتدائها » أهـ.

وقال رضي الله عنه :

حسن السؤال نصف العلم . .

وقال من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه . .

وسئل عن الصمت فقال : هو ستر الغي ، وزين العرض وفاعله في راحة وجليسه في أمن . .

أغـن عن المخلـوق بالخالق   تغـن عن الـكاذب والصادق
واستـرزق الرحمـن من فضله   فليس غـير الله بالرازق . .
من ظن أن النـاس يغنونه   فليس بالرحمـن بالواثق . .
من ظن أن الـرزق من كسبه   زلـت به النعـلان من حالق

وأخرج أبو نعيم عن الأعمش ، قال معاوية للحسن رضي الله عنه :

ما المروءة يا أبا محمد ؟ . .

فقال رضي الله عنه :

فقه الرجل في دينه وصلاحه ، وإصلاح معيشته ، وحسن مخالفته . .

وفي رواية : حفظ الرجل دينه وإحراز نفسه من الدنس ، وقيامه بضيفه ، وأداء الحقوق وإفشاء السلام . .

قال فما النجدة ؟

قال : التبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإطعام في المحل ، اهـ .

وقال معاوية يوماً في مجلسه : إذا لم يكن الهاشمي سخياً لم يشبه حسبه .

وإذا لم يكن الزبيري شجاعاً لم يشبه حسبه .

وإذا لم يكن المخزومي تائهاً لم يشبه حسبه .

وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه حسبه ، فبلغ ذلك الحسن فقال :

« والله ما أراد الحق ولكنه أراد أن يغري بني هاشم بالسخاء فيفنون أموالهم ويحتاجون إليه » .

ويغري آل الزبير بالشجاعة فيفنون بالقتل .

ويغري بني مخزوم بالتيه فيبغضهم الناس . .

ويغري بني أمية بالحلم فيحبهم الناس . اهـ .

ومن كلامه رضي الله عنه قال :

« ما تشاور قوم إلا هدوا الى رشدهم » .

وقال : اللؤم أن لا تشكر النعمة .

وقال : لبعض ولده : يا بني لا تآخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره ، فإذا استنبطت الخبرة ، ورضيت العشرة ، فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة .

وقال رضي الله عنه :

لا تجاهد الطلب جهاد الغالب ، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم ، فإن ابتغاء الفضل رزقاً من السنة ، والإجمال في الطلب من العفة ، وليست العفة بدافعة رزقاً ، ولا الحرص بجالب فضلاً ، فإن الرزق مقسوم ، واستعمال الحرص استعمال المآثم . اهـ .

ثم قال رضي الله عنه :

القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه ، والبعيد من باعدته المودة وإن قرب نسبه ، لا شيء أقرب من يد الى جسد ، وإن اليد تفل فتقطع وتحسم . .

وقال : الخير الذي لا شر فيه : الشكر مع النعمة والصبر على النازلة .

وقال : الرجل أقل من علة : إن الله قد ذكرك فاذكره وأقالك فاشكره .

وقال : عند صلحه لمعاوية : إنَّا والله ما ثنانا عن أهل الشام بالسلامة والصبر ، فسلبت السلامة بالعدواة ، والصبر بالجزع وكنتم في مبدأكم الى صفين ، ودينكم أمام دنياكم ، وقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم . اهـ .

وقال : ما أعرف أحداً إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه .

وقيل له : فيك عظمة ، فقال رضي الله عنه :

بل في عزة ، قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . .

ومن كلامه رضي الله عنه :

« عليكم بحفظ السرائر ، فإن الله مطلع على الضمائر » .

وحفظ القلب هو عدم الاتجاه الى غير الله ، وحفظ فكرك عن معصيته تعالى .

وعن الشعبي أن الحسن رضي الله عنه قال :

إن أكيس الكيس التقي ، وإن أحمق الحمق الفجور . ألا وأن هذه الأمور التي أختلفت فيها أنا ومعاوية ، تركت لمعاوية إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم . .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه قال :

جاء الحسن رجل من الشام فسأله قائلاً :

كم بين الحق والباطل وكم بين السماء والأرض ؟ وكم بين المشرق والمغرب ؟ وعن هذا المحو الذي في القمر ؟ وعن قوس قزح ؟ وعن هذه المجرة ، وعن أول شيء انتضح على وجه الأرض ؟ وعن أول شيء اهتز عليها ؟

وعن العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين والمشركين ؟ وعن المؤنث ؟ وعن عشرة أشياء بعضها أشد من بعض ؟ .

فقال الحسن رضي الله عنه :

يا أخا أهل الشام ، بين الحق والباطل أربع أصابع ، ما رأيت بعينك فهو الحق ، وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً .

وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر ، فمن قال غير هذا فكذبه . .

وبين المشرق والمغرب يوم مطرد للشمس ، تنظر الى الشمس حين تطلع وتنظر إليها حين تغرب ، من قال غير هذا فكذبه .

وأما هذه المجرة فهي أشراج السماء ، مهبط الماء المنهمر على نوح عليه السلام . .

وأما قوس قزح فلا تقل : فإن قزح شيطان ولكنها قوس الله وأمان من الغرق .

وأما المحو الذي في القمر فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحاه الله .

وقال في كتابه :

﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[1] .

وأما أول شيء انتضح على وجه الأرض فهو وادي دلس .

وأما أول شيء اهتز على وجه الأرض فهي النخلة .

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين ، فهي عين يقال لها سلمى .

وأما العين التي تأوي إليها أرواح الكافرين فهي عين يقال لها برهوت .

وأما المؤنث فإنسان لا يدري : امرأة هو أو رجل فينتظر به الحلم ، فإن كانت امرأة بانت ثدياها ، وإن كان رجلاً خرجت لحيته ، وإلا قيل له يبول على الحائط فإن أصاب الحائط بوله فهو رجل ، وإن نكص كما ينكص بول البعير فهي امرأة .

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض : فأشد شيء خلق الله الحجر ، وأشد من الحجر الحديد ، وأشد من الحديد النار ، وأشد من النار الماء ، وأشد من الماء السحاب ، وأشد من السحاب الريح ، وأشد من الريح الملك ، وأشد من الملك ، ملك الموت ، وأشد من ملك الموت ، الموت ، وأشد من الموت أمر الله . .

قال الشامي : أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ ، وأن علياً وصي محمد ﷺ .

ثم كتب هذا الجـواب ومضى به الى معاوية وأنفذه معاوية الى ابن الأصفر فلما اتاه قال :

---

(١) الإسراء آية : ١٢ .

أشهد أن هذا ليس من عند معاوية ولا هو إلا من معـدن النبوة . .

وأخرج ابن عساكر ، واليعقوبي ، وابن كثير بسنده قال :

خطب رضي الله عنه حينما قال له معاوية بعد الصلح : اذكر فضلنا :

فقام وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد النبي وآله ، ثم قال :

من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن رسول الله ، انا ابن البشير النذير، انا ابن المصطفى بالرسالة ؛ أنا ابن من صلت عليه الملائكة ، انا ابن من شرفت به الأمة ، انا ابن من كان جبريل السفير من الله إليه ؛ أنا ابن من بعث رحمة للعالمين (صلى الله عليه وآله أجمعين) .

فلم يقدر معاوية أن يكتم عداوته وحسده ، فقال :

يا حسن ، عليك بالرطب فانعته لنا .

قال : نعم يا معاوية .

الريح تلحقه ، والشمس تنفخه ، والقمر يلونه ، والحر ينضجـه ، والليل يبرده ، ثم أقبل على منطقه فقال :

انا ابن المستجاب الدعوة ، انا ابن من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن مكة ومنى ، انا ابن من خضعت له قريش رغماً ، انا ابن من سعد تابعه وشقى خاذله ، أنا ابن من جعلت الأرض له طهوراً ومسجداً ، أنا ابن من كانت أخبار السماء إليه تترى ، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

فقال معاوية : أظن نفسك يا حسن تنازعت الى الخلافة ؟

فقال : ويلك يا معاوية إنما الخليفة من سار بسيرة رسـول الله ﷺ ، وعمـل بطاعة الله ، ولعمري أنا لأعلام الهدى ومنار التقى ، ولكنك يا معـاوية ممـن أبـار السنن ، وأحيا البدع واتخذ عباد الله خولاً ، ودين الله لعباً ، فكان قد أخمل ما أنت

فيه ، فعشت يسيراً ، وبقيت عليك تبعاته .

يا معاوية ، والله لقد خلق الله مدينتين ، إحداهما بالمشرق ، والأخرى أسماها جابلقا أو جابلسا ، ما بعث الله إليهما أحداً غير جدي رسول الله ﷺ .

فقال معاوية : يا أبا محمد أخبرنا عن ليلة القدر ؟ .

قال : نعم عن مثل هذا فاسأل ، إن الله خلق السموات سبعا والأرضين سبعاً ، والجن من سبع والإنس من سبع ، فتطلب من ليلة ثلاث وعشرين ، الى ليلة سبع وعشرين ، ثم نهض رضي الله عنه .

وعن أبي جميلة أن الحسن بن علي رضي الله عنه حين قتل علي استخلف فبينا هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه فتمرض منها أشهراً ثم قام فخطب على المنبر فقال :

(يا أهل العراق اتقوا الله فينا ، فإنا أمراؤكم وضيفانكم ، ونحن أهل البيت ، الذين قال الله عز وجل فيهم) :

﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً ﴾ .

فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً . رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وفيما أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب عن الشعبي قال :

لما جرى الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية قال له معاوية :

قم فاخطب الناس ، واذكر ما كنت فيه . .

فقام الحسن فخطب فقال :

الحمد لله الذي هدى بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم ، ألا أن أكيس الكيس التقي ، وأعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن

يكون أحق به مني ، وإما أن يكون حقي فتركته لله ، ولإصلاح أمة محمدﷺ وحقن دمائهم .

قال : ثم التفت الى معاوية فقال :

﴿ وإنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمُ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ ﴾ ثم نزل .

فقال عمرو لمعاوية : ما أردت إلا هذا . .

وفيما أخرجه ابن شهاب قال :

لما دخل معاوية الكوفة حين سلم الأمر إليه الحسن بن علي ، كلم عمرو بن العاص معاوية أن يأمر الحسن بن علي فيخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال :

لا حاجة بنا الى ذلك :

قال عمرو :

ولكني أريد ذلك ليبدو عيه ، فإنه لا يدري هذه الأمور ما هي ؟

ولم يزل بمعاوية حتى طلب من الحسن أن يخطب ، وقال له :

قم يا حسن فكلم الناس فيما جرى بيننا .

فقام الحسن فتشهد ، وحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال في بديهته :

أما بعد : أيها الناس ، فإن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول ، وإن الله عز وجل يقول :

﴿ وَإِنْ أدري أَقَرِيبٌ أم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ مِنَ القَولِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ، وَإِنْ أدرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُم وَمَتَاعٌ إِلىٰ حِينٍ ﴾ . .[1] .

فلما قالها قال له معاوية :

---

(١) الأنبياء آية : ١٠٩ ـ ١١١ .

اجلس ، فجلس ثم قام معاوية فخطب الناس ، ثم قال لعمرو : هذا من رأيك . .

وعن عمرو بن الأعصم قال : قلت للحسن رضي الله عنه :

إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ؟

فقال : كذبوا والله ، ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله .

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه ، قال الحسن :

إن الناس يقولون أنك تريد الخلافة؟

فقال : قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمدﷺ . .

وعن الحر قال : خطب الحسن بن علي بالكوفة فقال :

إن الحلم زينة ، والوقار مروءة ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، ومجالسة اهل الدناءة شين ، ومخالطة أهل الفساق ريبة .

وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ، ويعظمه ويجله وقد قال له يوماً :

يا بني ألا تخطب حتى أسمعك ؟ فقال :

إني أستحيي أن أخطب وأنا أراك ، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ، ثم قام الحسن في الناس خطيباً ، وعلي يسمع ، فأدى خطبة بليغة فصيحة ، فلما انصرف جعل علي يقول :

« ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » . .

وفاته

الحياة بذكر الحق سبحانه ، بعدما تتلف النفوس في رضاء الحق ، أتم من البقاء بنعمة الخلق ، مع الحجبة عن الحق .

وكأس الموت توضع على كف كل حي .

فمن تحلاها طيبة بها نفسه ، أورثته ما أوجبه الله ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ومن تجرعها على وجه التعبس ، وقع في وهدة الرد والطرد ، كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون .

وإمامنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، تجرع كأس الموت ، وهو طيب النفس ، راضي القلب ، رافع الرأس الى السماء قائلاً :

« اللهم إني أحتسب نفسي عندك ، فإنها أعز الأنفس علي »[1]

---

(١) ثم يعلق ابن عبد البر على هذا فيقول : « فكان مما صنع الله عز وجل له أنه احتسب نفسه » أهـ .

وكان سبب وفاته رضي الله عنه ، ما كان يخشاه يزيد بن معاوية ، من رجوع الأمر الى الحسن ، بعد وفاة أبيه معاوية .

ذلك : أن معاهدة الصلح التي أبرمت بين الإمام الحسن ومعاوية ، كانت كفيلة برجوع الأمر الى الحسن بعد موت معاوية ، فشرط الصلح التي تمت بين الطرفين عليها إمضاء معاوية وهو الخليفة ، وكان ذلك تحت يد الإمام الحسن رضي الله عنه ، حسبما تم الاتفاق بينهما على ذلك .

وكان يزيد بن معاوية ، لا يتمتع بسمعة طيبة ، عكس ما عليه الإمام الحسن من حب الناس له ، وتقديرهم إياه وقرابته لسيدنا رسول الله ﷺ .

من أجل ذلك ، فكر يزيد ، وقدر ، ورتب أموره ، وأحكم خطته ، ودس لإحدى زوجات الإمام الحسن رضي الله عنه ، وهي : جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي ، وعاهدها ووعدها ومناها أنها ، إن انفذت أمره ، وحققت رغبته ، وقتلت الإمام الحسن ليتزوجها .

وبذل يزيد لها مائة ألف درهم ، واستجابت لنزعاته ، وأحكمت خطتها ، ودبرت مكرها فأطعمته رضي الله عنه السم ، فمرض لمدة أربعين يوماً ، ثم كان ما كان من وفاة ، فمات حميداً شهيداً رضي الله عنه .

وبعثت ليزيد بعد موت الإمام الحسن رضي الله عنه ، تطلب منه الوفاء بما وعدها ، ولكن الله لا يهدي كيد الخائنين .

فقال لها يزيد : لم تصنعي الخير مع ابن رسول الله ، ومن هو خير مني ، فكيف تصنعينه معي ؟ فباءت بالخيبة جزاء ما صنعت بالخيانة ، وجنت ثمار الغدر بما ارتكبته بالمكر والإجرام .

أخرج الحافظ بن كثير بسنده عن عمران بن عبد الله قال : سمعت بعض من يقول :

كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سما ، أي الحسن .

وعن المغيرة عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم ، فاشتكى منه شكاة ، قال : فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً.

وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث الى جعدة بنت الأشعث أن سمي الحسن وأنا أتزوجك بعده ، ففعلت ، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال :

أنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟ .

ولما حضرته الوفاة اجتمع إليه الناس فقال :

أيها الحاضرون ، اسمعوا وأنصتوا لما اقول لكم الآن :

هذا الحسين أخي إمام بعدي فلا إمام غيره ، ألا فليبلغ الحاضر الغائب ، والوالد الولد ، والحر العبد ، والذكر الأنثى ، وهو خليفتي عليكم ، لا أحد يخالفه منكم ، نحن ريحانتا رسول الله ﷺ ، وسيدا شباب أهل الجنة ، فلعن الله من يتقدم ، أو يقدم علينا أحداً .

وإني ناص عليه كما نص رسول الله ﷺ ، على أمير المؤمنين ، علي رضي الله عنه ، وكما نص أبي علي ، وهو الخليفة بعدي من الله ورسوله .

ثم أوصيك يا أخي بأهلي وولدي خيراً ، واتبع ما أوصى به جدك عليه الصلاة والسلام ، وأبوك وأمك رضوان الله عليهما .

ثم التفت الى أخيه محمد بن الحنفية ، وقال له :

يا محمد بن علي ، أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ، ومفارقة روحي جسمي ، إمام من بعدي ؟ وعند الله في الكتاب الماضي وراثة النبي أصابها في وراثة أبيه وأمه ، علم الله أنكم خير خلقه ، فاصطفى منكم جدنا محمداً ﷺ ، واختار محمد علياً ، واختارني علي للإمامة ، واخترت أنا أخي الحسين لها ، ثم قال له :

يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت السم ، ولم أسقه مثل مرتي هذه ،

وأنا ميت من يومي ، وجهد به أخوه يخبره بمن سقاه السم ، فلم يخبره بمن سقاه ، وقال له :

« الله أشد نقمة إن كان الذي أظن ، وإلا فلا يقتل بي والله بريء » اهـ .

وفي رواية ابن عبد البر :

إني يا أخي : سقيت السم ثلاث مرات ، لم أسقه مثل هذه المرة ، وجهد به الحسين ليخبره بمن سقاه .

فقال : ما سؤالك عن هذا ؟ تريد أن تقاتلهم ؟ أكل أمرهم الى الله .

وفي رواية أخرى ، لقد سقيت السم مراراً ، ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظه طائفة من كبدي ، فرأيتني أقبلها بعود .

فقال له الحسين : أي أخي من سقاك ؟

قال : وما تريد إليه ؟ تريد أن تقتله ؟

قال : نعم .

قال : لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة ، وإن كان غيره فلا يقتلن بي بريء .

ورأى في منامه كأنه مكتوب بين عينيه ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ، فاستبشر به ، هو وأهل بيته ، فقصوها على ابن المسيب فقال :

إن صدقت رؤياه فقل ما يبقى من أجله ، ثم قال في آخر وصاياه :

« حفظكم الله أستودعكم الله ، خير خليفة من بعدي عليكم ، وكفى به خليفة ، وإني منصرف عنكم ، ولاحق بجدي وأبي وأمي وأعمامي ، ثم قال :

عليكم السلام يا ملائكة ربي ورحمة الله تعالى وبركاته ، فلفظ آخر أنفاسه من الدنيا » .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده قال :

لما حضرته الوفاة قال :

أخرجوا فراشي الى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السموات ، فلما أخرجوا فراشه رفع رأسه الى السماء فنظر وقال :

« اللهم إني أحتسب نفسي عندك ، فإنها أعز الأنفس علي » اهـ .

قال له الحسين رضي الله عنه : لم تجزع وأنت تقدم على أهلك وأقاربك ؟

فقال له : أي يا أخي إني أدخل في أمر من الله لم أدخل في مثله وأرى خلقاً من خلق الله لم أرَ مثلهم قط .

فبكى الحسين رضي الله عنه .

وكان قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ﷺ ، فإن خاف أن يكون في ذلك شيء فليدفن بالبقيع ، فأبى مروان أن يدعه وقال :

« ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله ﷺ ، قد دفن عثمان بالبقيع ، ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك ، فلم يزل عدواً لبني هاشم حتى مات » .

فتسلح الحسين وجمع مواليه ، فقال له جابر ، يا أبا عبد الله ، اتق الله ولا تثر فتنة ، ولا تسفك الدماء ، وادفن أخاك الى جنب أمه ، فإن أخاك قد عهد بذلك إليك ، فدفن في بقيع الغرقد .

ولما امتنع مروان من أن يدفن الحسن رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ ،لامه أبو هريرة وذكر له فضل علي والحسن ، فقال له :

إنك والله أكثرت على رسول الله ﷺ الحديث . فلا نسمع منك ما تقول ، فهل من غيرك يعلم ما يقول ؟ فقال له : هذا أبو سعيد الخدري .

فقال مروان : لقد ضاع حديث رسول الله ﷺ حين لا يرويه إلا أنت وأبو سعيد ، والله ما أبو سعيد حين مات ﷺ إلا غلام ، ولقد جئت أنت من جبال دوس قبل وفاة رسول الله بيسير ، فاتق الله يا أبا هريرة .

فقال له : نعم ، ما أوصيت به ، وسكت عنه ، ثم دفن عند قبر أمه فاطمة .

وقد كانت أباحت له عائشة أن يدفن مع رسول الله ﷺ في بيتها ، وكان سألها ذلك في مرضه ، فلما مات منع من ذلك مروان وبنو أمية في خبر يطول ذكره .

وقال قتادة وأبو بكر بن حفص :

سم الحسن بن علي ، سمته امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي .

وقالت طائفة : كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها ، وما بذل لها في ذلك ، وكان لها ضرائر ، والله أعلم .

وعن قتادة ، قال :

دخل الحسين على الحسن ، فقال الحسن رضي الله عنه :

يا أخي إني سقيت السم ثلاث مرات ، لم أسق مثل هذه المرة ، إنني لأضع كبدي .

فقال الحسين رضي الله عنه :

من سقاك يا أخي ؟

قال : ما سؤالك عن هذا ؟ أتريد أن تقاتلهم ، أكلهم الى الله .

فلما مات ورد البريد بموته على معاوية ، فقال :

يا عجباً من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة ، فقضى نحبه .

وأتى ابن عباس معاوية ، فقال له :

يا بن عباس ، احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسوءك .

فقال :

أما ما أبقاك الله يا أمير المؤمنين ، فلا يحزنني الله ولا يسوءني .

قال : فأعطاه على كلمته ألفاً وعروضاً وأشياء ، وقال : خذها واقسمها على أهلك .

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب ، وابن حجر في الإصابة ، عن ابن عباس قال :

كنا عند الحسن بن علي ، فدخل المخرج ثم خرج ، فقال :

لقد سقيت السم مراراً وما سقيته مثل هذه المرة ، لقد لفظت طائفة من كبدي ، فرأيتني أقلبها بعود معي .

فقال له الحسن : يا أخي ، من سقاك ؟

قال : وما تريد إليه ؟ أتريد أن تقتله ؟

قال : نعم .

قال : لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة ، ولئن كان غيره ما أحب أن تقتل بي بريئاً .

ويقول الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء :

وروينا من وجوه ، أن الحسن لما احتضر قال للحسين : يا أخي أن أباك لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر فصرف الله عنه .

فلما احتضر أبو بكر تشرف أيضاً لها فصرفت عنه الى عمر .

فلما احتضر عمر جعلها شورى الى أحدهم ، فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان .

فلما قتل عثمان بويع ونوزع حتى جرد السيف وطلبها فما صفا له شيء منها .

وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت ، النبوة والخلافة ، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت الى عائشة أن أدفن في حجرتها ، فقالت : نعم ، وإني لا أدري لعل ذلك كان منها حياء ، فإذا مت فاطلب ذلك إليها . وما أظن القوم إلا سيمنعوك[1] ، فإن فعلوا فادفني في البقيع .

فلما مات قالت عائشة : نعم وكرامة ، فبلغ ذلك مروان فقال : كذب وكذبت . والله لا يدفن هناك أبداً ، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة وتريدون دفن حسن في بيت عائشة ؟

فلبس الحسين ومن معه السلاح ، واستلم مروان أيضاً في الحديد ، ثم قام في إطفاء الفتنة أبو هريرة وقال : أعاذنا الله من الفتن ورضي عن جميع الصحابة فترضى عنهم يا شعثي تفلح ، ولا تدخل بينهم ، فالله حكم عدل ، يفعل فيهم سابق علمه ، ورحمته وسعت كل شيء . وهو القائل :

﴿ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ﴾ و ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ .

فاسأل الله أن يعفو عنا ، وأن يثبتنا بالقول الثابت آمين .

ثم يستطرد الحافظ الذهبي فيقول :

وعن الحسن بن محمد بن الحنفية قال : جعل الحسن يوعز للحسين رضي الله عنه قائلاً له :

يا أخي ، إياك أن تسفك دماً فإن الناس سراع الى الفتنة .

فلما مات قالت عائشة : نعم وكرامة ـ فبلغ ذلك مروان الى معاوية بخبره ، وأنهم يريدون دفنه مع النبي ﷺ ، فقال : لا يصلون الى ذلك أبداً وأنا حي .

---

(١) وهذه كرامة واضحة أجراها الله على يديه رضي الله عنه .

فانتهى حسين الى قبر النبي ﷺ فقال :

احفروا ، فكتب عنه سعيد بن العاص ، يعني أمير المدينة فاعتزل ، وصاح مروان في بني أمية ولبسوا السلاح ، فقال له حسين :

يا بن الزرقاء ، ما لك ولهذا ، أوال أنت ؟

فقال : لا تخلص الى هذا وأنا حي ، فصاح الحسين بحلف الفضول ، فاجتمعت هاشم ، وتيم ، وزهرة ، وأسد في السلاح ، وعقد مروان لواء وكانت بينهم مراماه ، وجعل عبد الله بن جعفر يلح على الحسين ويقول : يا بن عم ألم تسمع الى عهد أخيك ؟

أذكرك الله أن تسفك الدماء ، وهو يأبى .

قال : الحسن بن محمد : فسمعت أبي يقول :

لقد رأيتني يومئذ وإني لا أريد أن أضرب عنق مروان ما حال بيني وبين ذلك إلا أن أكون أراه مستوحياً لذلك ، ثم دفعت بأخي وذكرته وصية الحسن فأطاعني .

واخرج ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده قال :

روينا من وجوه أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه :

يا أخي ، إن أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر ، ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه .

ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة توقف لها أيضاً ، فصرفت عنه الى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم ، فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان بويع ، ثم نوزع حتى جرد السيف . وطلبها ، فما صفا له شيء منها ، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا ـ أهل البيت ـ النبوة والخلافة ، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك .

وقد كنت طلبت الى عائشة إذا مت أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله ﷺ .

فقالت : نعم . وأنا لا أدري لعلها كان ذلك منها حياء ، فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها ، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها ، وما أظن إلا سيمنعوك إذا أردت ذلك ، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك ، وادفني في بقيع الغرقد ، فإن لي فيمن فيه أسوة .

فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة ، فطلب ذلك إليها ، فقالت : نعم وكرامة . فبلغ ذلك مروان ، فقال مروان : كذب وكذبت ، والله لا يدفن هناك أبداً ، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ، ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة .

فبلغ ذلك الحسين ، فدخل هو ومن معه في السلاح ، فبلغ ذلك مروان فاستلأم في الحديد أيضاً ، فبلغ ذلك أبا هريرة فقال :

والله ما هو إلا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه ، والله أنه لابن رسول الله ﷺ ، ثم انطلق الى الحسين فكلمه وناشده الله ، وقال له :

أليس قد قال أخوك ، إن خفت أن يكون قتال فردوني الى مقبرة المسلمين ، فلم يزل به حتى فعل ، وحمله الى البقيع ، فلم يشهده يومئذ من بني أمية إلا سعيد بن العاصي ، وكان يومئذ أميراً على المدينة فقدمه الحسين للصلاة عليه وقال : هي السنة .

وخالد بن الوليد بن عقبة ناشد بني أمية أن يخلوه يشاهد الجنازة ، فتركوه فشهد دفنه في المقبرة ، ودفن الى جنب أمه فاطمة رضي الله عنها وعن بنيها أجمعين .

ولما مات قام أبو هريرة في المسجد يبكي وينادي بأعلى صوته :

يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا .

وقال معاوية : إن الحسن قد مات يريد أن يبكته بذلك .

فقال له : لئن كان مات فإنه لا يسد بجسده حفرتك ، ولا يزيد موته في عمرك ، ولقد أصبنا بمن هو أشد علينا منه ، فجبر الله مصيبتنا .

ووقف الحسين رضي الله عنه على قبر أخيه لما مات فقال :

رحمك الله أبا محمد ، أن كنت ناصراً للحق ، وتؤثر الله عند مداحض الباطل ، في مكان التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين حاذرة ، وتقبض عليها بيد طاهرة ، وتردع ما يريده أعداؤك بأيسر المؤنة عليك ، وانت ابن سلالة النبوة ورضيع لبان الحكمة ، فإلى روح وريحان ، جنة ونعيم ، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب لنا ولكم السلوان ، وحسن الإساءة عليه .

وقال أخوه محمد بن الحنيفة رضي الله عنهما :

يرحمك الله أبا محمد ، إن عزت حياتك ، فقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ، ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك ، وكيف لا يكون هكذا وأنت سليل الهدى ، وحليف أهل التقى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتك أكف الحق ، وربيت في حجور الإسلام ، ورضعت ثدي الإيمان ، وطبت حياً وميتاً ، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ، فلا نشك في الخير لك ، يرحمك الله ، ثم انصرف .

ولما مات بعث بنوا هاشم صائحاً الى العوالي يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت حسن ، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحد عنه .

قال ثعلبة بن مالك :

رأيت الناس بالبقيع ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على إنسان ، وبكى عليه النساء والرجال والصبيان سبعة أيام بمكة والمدينة .

وقال محمد بن علي :

قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين ، ومات لها الحسن ، وقتل لها الحسين ، رضي الله عنهم .

وقيل : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين في خلافة معاوية .

وقيل : توفي سنة ثمان وأربعون وهو الصحيح .

وقيل : سنة تسع وأربعين .

وقيل : سنة خمسين .

وقيل : سنة إحدى وخمسين .

وقيل : سنة ثمان وخمسين .

وقيل : سنة تسع وخمسين .

وقال الواقدي : حدثنا إبراهيم بن الفضل عن أبي عتيق قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول :

شهدنا حسن بن علي يوم مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم ، وكان الحسن قد عهد الى أخيه أن يدفن مع رسول الله ﷺ ، فإن خاف أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع ، فأبى مروان أن يدعه ـ ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية ـ ولم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات .

قال جابر : فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت :

يا أبا عبد الله اتق الله ولا تثر فتنة ، فإن أخاك كان لا يحب ما ترى ، فادفنه بالقيع مع أمه ففعل .

ثم روى الواقدي قال : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن عمر قال :

حضرت موت الحسن بن علي فقلت للحسين بن علي ، اتق الله ولا تثر فتنة ، ولا تسفك الدماء ، وادفن أخاك الى جانب أمه ، فإن أخاك قد عهد بذلك إليك ، قال : ففعل الحسين رضي الله عنه .

وفي رواية أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك فأذنت له ، فلما مات لبس

الحسين السلاح وتسلح بنو أمية وقالوا :

لا ندعه يدفن مع رسول الله ، ﷺ ، أيدفن عثمان بالبقيع ويدفن الحسن بن علي في الحجرة ؟

فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين أن لا يقاتل فامتثل ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالبقيع ، رضي الله عنه .

وقال سفيان الثوري عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم قال :

رأيت الحسين بن علي قدم يومئذ سعيد بن العاص فصلى على الحسن وقال :

لولا أنها سنة ما قدمته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني مساور مولى بني سعد بن بكر قال :

رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ، ﷺ ، يوم مات الحسن بن علي وهو ينادي بأعلى صوته : يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا .

وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام ، وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً ، واستمر نساء بني هاشم ينحن عليه شهراً ، وحدت نساء بني هاشم عليه سنة .

وحدثنا يعقوب بن سفيان : بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها حسن ، وقتل لها الحسين رضي الله عنهم .

وقال شعبة عن أبي بكر بن حفص قال : توفي سعد والحسن بن علي في أيام بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين وكذا قال غير واحد وهو أصح .

وقيل : توفي سنة ٤٦ قمرية من الهجرة . .

والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين كما ذكرنا . .

وقال آخرون : مات سنة خمسين .

وقيل سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين .

وعاش مع أبيه علي (٣٨) وستة أشهر ، وستة أخرى خليفة بعد أبيه رضي الله عنهما .

وحاصله : أنه عاش في حياة النبي ﷺ (٨ سنوات) .

وفي حياة أبيه علي رضي الله عنه (٣٩) سنة .

وفي حياة معاوية رضي الله عنه (١٠) سنين ، فسنه رضي الله عنه يتراوح بين (٤٧) و (٤٨) سنة .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب .

مات الحسن بن علي رضي الله عنهما بالمدينة واختلف في وقت وفاته فقيل :

مات سنة تسع وأربعين .

وقيل بل مات في ربيع الأول من سنة خمسين بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين .

وقيل : بل مات سنة إحدى وخمسين ، ودفن ببقيع الغرقد وصلى عليه سعد بن العاص وكان أميراً بالمدينة قدمه الحسين للصلاة على أخيه ، وقال : لولا أنها سنة ما قدمتك .

ومن طريق ما ثبت أن :

رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه ، ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾

ففرح بذلك فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال :

إن كان رأى هذه الرؤيا فقل ما بقي من أجله . قال : فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلا أياماً حتى مات .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن صالح بسنده عن عمير بن إسحاق ، قال :

« دخلت أنا ورجل آخر من قريش على الحسن بن علي فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال :

لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود ، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت مرة هي أشد من هذه ، قال :

فخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من الغد ، وقد أخذ في السوق فجاء حسين حتى قعد عند رأسه ، فقال :

أي أخي من صاحبك ؟

قال : تريد قتله ، قال : نعم ، قال : لئن كان صاحبي الذي أظن فالله أشد نقمة .

وفي رواية : فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكنه فما أحب أن تقتل بي بريئاً .

ورواه محمد بن سعد عن ابن عون .

وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور ، قالت :

الحسن سقي مراراً كل ذلك يفلت منه ، حتى كانت المرة الآخرة التي مات فيها فإنه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً .

وقال الواقدي : وحدثتنا عبدة بنت نائل عن عائشة قالت :

حد نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنة .

ويقال : أنه كان سقي سماً ، ثم أفلت ، ثم سقي فأفلت ، ثم كانت الآخرة ، توفي فيها ، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قطع السم أمعاءه .

فقال الحسين : يا أبا محمد أخبرني من سقاك ؟ قال : ولم يا أخي ؟ قال أقتله والله قبل أن أدفنك ، ولا أقد عليه أن يكون بأرض أتكلف الشخوص إليه .

فقال : يا أخي : إنما هذه الدنيا ليال فانية ، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله ، وأبي يسميه .

وقال أبو نعيم رضي الله عنه :

لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له :

يا أبا محمد ما هذا الجزع ؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك ، فتقدم على أبويك علي وفاطمة ، وعلى جديك النبي ﷺ ، وخديجة ، وعلى أعمامك حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم ، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب ، قال : فسرى عنه .

وفي رواية أن القائل له ذلك الحسين ، وأن الحسن قال له :

يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثلهم قط .

قال : فبكى الحسين رضي الله عنهما .

ويقول اليعقوبي :

لما لف الحسن في أكفانه قال محمد بن الحنفية :

رحمك الله أبا محمد ، فوالله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح عمر به بدنك ، ونعم البدن بدن ضمه كفنك لم لا يكون كذلك وأنت سليل الهدى وحليف أهل التقوى . وخامس أصحاب الكساء .

غذتك كف الحق ، وربيت في حجر الإسلام ، وأرضعتك ثديا الإيمان ، فطب حياً وميتاً فعليك السلام ورحمة الله ، وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك ، ولا شاكة في الخيار لك .

ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله ﷺ ، فركب مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص فمنعنا من ذلك حتى كادت تقع فتنة .

ثم استطرد يقول :

توفي الحسن بن علي وابن عباس عند معاوية فدخل عليه لما أتاه نعي الحسن ، فقال له :

يا بن عباس إن حسناً مات .

قال إنا لله وإنا إليه راجعون على عظم الخطب ، وجليل المصاب أما والله يا معاوية لئن كان الحسن مات فما ينسىء موته في أجلك ، ولا يسد جسمه حفرتك ، ولقد مضى الى خير .

لا أحسبه قد خلف إلا صبية صغاراً قال :

كل ما كان صغيراً يكبر ، قال بخ بخ يا بن عباس أصبحت سيد قومك قال أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين ابن رسول الله فلا .

وفيما أخرجه ابن خلكان في وفيات الأعيان قال :

ولما كتب مروان الى معاوية بشكاته ، كتب إليه أن أقبل المطي إلي بخبر الحسن ولما بلغه موته سمع تكبيراً من الخضر ، فكبر أهل الشام لذلك التكبير ، فقالت فاختة زوجة معاوية :

أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ،ما الذي كبرت له ؟

قال : مات الحسن رضي الله عنه .

قالت : أعلى موت ابن فاطمة تكبر ؟

قال : والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي .

وكان ابن عباس بالشام ، فدخل عليه فقال :

يا ابن عباس ، هل تدري ما حدث في أهل بيتك ؟

قال : لا أدري ما حدث إلا أني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك وسجودك .

قال : مات الحسن رضي الله عنه .

قال : إنَّا لله ، يرحم الله أبا محمد ثلاثاً ، ثم قال :

والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك ولا يزيد نقص عمره في يومك ، وإن كنا أصبنا بالحسن لقد أصبنا بابن إمام المتقين ، وابن خاتم النبيين ، فسكن الله تلك العبرة ، وجبر تلك المصيبة ، وكان الله الخلف علينا من بعده اهـ .

رحم الله مولانا الإمام الحسن بن علي ورضي عنه ، ونفعنا الله بحبه ، وحب أهل البيت ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، وعلى آله وصحبه وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين .

من أهم المراجع

١ ـ المصيف ـ للمحافظ الكبير عبد الرزاق

٢ ـ المسند ـ للإمام أحمد بن حنبل

٣ ـ فتح الباري ـ لابن حجر العسقلاني

٤ ـ شرح صحيح مسلم ـ للإمام النووي

٥ ـ السنن الأربعة : الترمذي ، النسائي ،أبو داود ، ابن ماجة

٦ ـ خلاصة المستدرك ـ للحافظ الذهبي

٧ ـ تفسير الطبري ـ للإمام الطبري

٨ ـ تفسير الخازن ـ للخازن

٩ ـ تفسير الدر المنثور ـ للإمام السيوطي

١٠ ـ تاريخ الطبري ـ للإمام الطبري

١١ ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الاثير الجزري

١١ ـ أسد الغابة ـ لابن الأثير الجزري

١٣ ـ الاستيعاب ـ لابن عبد البر

١٤ ـ وفيات الأعيان ـ لابن خلكان

١٥ ـ مرآة الجنان ـ للإمام اليافعي

١٦ ـ المعارف ـ لابن قتيبة

١٧ ـ عيون الأخبار ـ لابن قتيبة

١٨ ـ الاصابة ـ لابن حجر العسقلاني

١٩ ـ لسان الميزان ـ لابن حجر العسقلاني

٢٠ ـ تهذيب التهذيب ـ لابن حجر العسقلاني

٢١ ـ تهذيب ابن عساكر ـ لابن عساكر الدمشقي

٢٢ ـ الطبقات الكبرى ـ لابن سعد

٢٣ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير

٢٤ ـ تاريخ اليعقوبي ـ لليعقوبي

٢٥ ـ مروج الذهب ـ للمسعودي

٢٦ ـ ميزان الاعتدال ـ للحافظ الذهبي

٢٧ ـ صفة الصفوة ـ لابن الجوزي

٢٨ ـ شذرات الذهب ـ لابن العماد

٢٩ ـ النجوم الزهارة ـ لابن تغري بردي

٣٠ ـ سير أعلام النبلاء ـ للحافظ الذهبي

محتويات الكتاب